www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الأسماء الثلاثة

الإلهية والربوبية والعبادة

رسالة موجزة

في

تفسير الآيات الثلاث الواردة في سورة

والتي تدور عليها رحى

أصل الدين والشرع

تأليف

جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الأسماء الثلاثة الإله

كاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

موسسه امام صادق (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الأسماء الثلاثة الإله ----- ۹
اشارة ----- ۹
الأسماء الثلاثة الإله، الرب، والعبادة ----- ۹
الفصل الأوّل ----- ۹
الإله فی اللغة و القرآن الکریم ----- ۹
هل الإله بمعنی المعبود؟ ----- ۹
الإله فی اللغة ----- ۱۰
مفهوم الإله فی القرآن ----- ۱۱
الفصل الثانی ----- ۱۲
الربّ فی اللغة و الذکر الحکیم ----- ۱۲
التوحید فی الربوبیة غیر التوحید فی الخالقیة ----- ۱۳
نتیجة هذا البحث: ----- ۱۵
خاتمة المطاف ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
الأُولی: التوحید فی الذات ----- ۱۶
الثانیة: التوحید فی الخالقیة ----- ۱۶
الثالثة: التوحید فی الربوبیة و التدبیر ----- ۱۶
الرابعة: التوحید فی التشریع و التقنین ----- ۱۷
الخامسة: التوحید فی الطاعة ----- ۱۷
السادسة: التوحید فی الحاکمیة ----- ۱۸
السابعة: التوحید فی العبادة ----- ۱۸
الفصل الثالث فی تحدید مفهوم العبادة ----- ۱۸

اشارة ----- ۱۸
العبادة فی المعاجم و التفاسیر ----- ۱۹
لیست العبادة نفس الخضوع أو نهایته ----- ۲۰
توجیه غیر سدید ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
۱- نظریة صاحب المنار فی تفسیر العبادة ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
ویلاحظ علی هذا التعریف: ----- ۲۱
۲- نظریة الشیخ شلتوت، زعیم الأزهر ----- ۲۲
۳- تعریف ابن تیمیة ----- ۲۲
التعریف الصحیح: ----- ۲۲
۱- الفعل او القول المنبئ عن الخضوع و التذلّل. ----- ۲۳
عقیدة المشرکین فی آلهتهم ----- ۲۳
حکم التاریخ فی عقیدة المشرکین ----- ۲۳
قضاء الکتاب فی عقیدة المشرکین ----- ۲۴
التعریف المنطقی لمفهوم العبادة ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
الأوّل: التمعن فی عبادة الموحّدین و المشرکین ----- ۲۶
الثانیة: الإمعان فی الآیات الداعیة إلی عبادة اللّه، الناهیة عن عبادة الغیر ----- ۲۶
التعاریف الثلاثة للعبادة ----- ۲۷
ثمرات البحث ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
۱- التوسل بالأنبیاء والأولیاء فی قضاء الحوائج ----- ۲۸
۲- طلب الشفاعة من الصالحین ----- ۲۸

۳- التعظیم لأولیاء اللّه و قبورهم و تخلید ذکریاتهم ۲۹
۴- الاستعانة بالأولیاء ۲۹
أسئلة و أجوبة ۲۹
السؤال الأوّل ۲۹
الجواب ۳۰
اشارة ۳۰
۱- الشیخ جعفر کاشف الغطا (۱۱۵۶- ۱۲۲۸) ۳۰
۲- البلاغی النجفی (۱۲۸۴- ۱۳۵۲ ه) ۳۰
۳- القضاعی العزامی الشافعی (۱۲۸۴- ۱۳۵۸ ه) ۳۱
۴- فقیه العصر السید الخوئی (۱۳۱۷- ۱۴۱۲ ه) ۳۲
السؤال الثانی ۳۳
ما هوالمراد من العبادة فی هذه الآیات؟ ۳۳
الجواب ۳۳
ما هو حکم إطاعة غیر اللّه و الخضوع له؟ ۳۴
وأمّا الخضوع للغیر فهو علی أقسام ۳۴
السؤال الرابع ۳۵
دواعی العبادة للّه سبحانه ۳۵
اشارة ۳۵
۱ و ۲- الطمع فی إنعامه و الخوف من عقابه ۳۵
۳- کونه سبحانه أهلًا للعبادة ۳۶
خاتمة المطاف ۳۶
الفوضی فی التطبیق بین الإمام و المأموم ۳۶
غیری جنی وأنا المعاقب فیکم ۳۸
تصور خاطئ ۳۸

اشارة ----- ۳۸
حصیلة البحث ----- ۳۸
إجابة على سؤال ----- ۴۰
الجواب ----- ۴۰
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۴۱

الأسماء الثلاثة الإله

اشارة

نام كتاب: الأسماء الثلاثة الإله نويسنده: آيت الله سبحانى موضوع: الهيات تاريخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربى تعداد جلد: ۱ ناشر: موسسه امام صادق (ع)

الأسماء الثلاثة الإله، الرب، والعبادة

الأسماء الثلاثة الإله، الرب، والعبادة بسم اللَّه الرحمن الرحيم الحمد للَّه الأوّل فلا شيء قبله، و الآخر فلا شيء بعده، الظاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء دونه، و هو القائل عزّاسمه و علا سلطانه «هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن و هو بكلّ شيء عليم». والصّلاة و السّلام على أشرف خليقته، و خاتم رسله و أنبيائه محمّد أمين وحيه ورسالاته، وعلى آله الّذين هم موضع سرّه، و عيبة علمه، و موئل حِكَمه صلاة طيّبة، لا يحصيها العادّون. أمّا بعد: فانّ اللَّه سبحانه بعث رسوله الخاتم لإنجاز عدته، و إتمام نبوّته، مأخوذاً على النبيّين ميثاقه، مشهورةً سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ مِلل متفرّقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتّتة، بين مشبِّهٍ للَّه بخلقه، أو ملحد فى اسمه، أو مشيرٍ إلى غيره، فهداهم من الضلالة، وأنقذهم من الجهالة. «۱» بعثه سبحانه بمعجزته الخالدة، فيها هدىً و نور، وشفاء لما فى الصدور، ولمتزل تشع نوراً و رحمة، و سيباً و عطاءً لمن أنس بها و درسها، و خالطت جسمه و روحه و قلبه و دمه. إنّ القرآن المجيد هو المعجزة الباقية عبر القرون إلى يوم القيامة، مشتملة على معارف و حقائق لم تكن فى زبر الأوّلين، و لم تتجاوز عنها عباقرة المتأخرين، الاسماء الثلاث، ص: ۶ يقف و بناءً على ذلك فمن قرأالقرآن و تدبّر، وتلا آياته و فكّر، أحسّ- عند ذاك- أنّه أمام بحر ليس له ساحل. و إنّ من أبرز تعاليمه العالية ما أتى به حول التوحيد و الشرك، و التنزيه و التشبيه، و ربما يدور معظمها حول كلمات ثلاث، أعنى: الإله، و الربّ، و العبادة. و لمّا كان لها هذا الشأن العظيم، فجدير بالمسلم الواعى أن يقف على معانيها، و يحلّلها حسب ما ورد فى القرآن الكريم، ويزيل عنها الأغشية التى أحاطت بها عبر تمادى القرون. فلأجل ذلك قمنا فى هذه الرسالة، بدراسة هذه الكلمات الثلاث، فى فصول أربعة مستنطقين الذكر الحكيم، والسنّة النبوية الكريمة، و كلمات علمائنا الأبرار من السلف الصالح، و الخلف السائر على ضوء نهجهم، راجين أن تكون نبراساً للمحقّقين و ذخراً ليوم لا- ينفع فيه مال و لا- بنون إلّامن أتى اللَّه بقلبسليم. جعفر السبحانى ۶/ صفر/ ۱۴۱۷ ه. ق الاسماء الثلاث، ص: ۷

الفصل الأوّل

الإله فى اللغة و القرآن الكريم

الإله فى اللغة و القرآن الكريم قد ورد لفظ «إله» فى القرآن الكريم بصوره المختلفة مفرداً و تثنية و جمعاً، مضافاً و غير مضاف ۱۴۷ مرّة، كما أنّ لفظ الجلالة «اللَّه» ورد فيه ۹۸۰ مرة، و بما أنّ الثانى عَلَم، فهو لا-يثنّى و لا-يجمع و لايضاف، بل يستعمل مفرداً مطلقا. وكثرة ورودهما فى الكتاب العزيز تُعرِب عن دورهما فى مجال المعارف الإلهيّة ولعلّ الوقوف على مفهومهما مضافاً إلى لفظى الربّ و العبادة مفتاح لفهم جلّ المعارف القرآنيّة.

هل الإله بمعنى المعبود؟

هل الإله بمعنى المعبود؟ قد اشتهر فى الألسن أن الإله من «الَه» بمعنى عَبَدَ، وأنّ الإله بمعنى المعبود، و هذا و إن كان مشهوراً لكن لا

تصدقه وحدة المادّة ولا القرآن الكريم و إليك الكلام فى المقامين.

الإله فى اللغة

الإله فى اللغة أمّا الأُول: فلأنّ اللفظين (اللَّه و إله) مأخوذان من مادة واحدة فلابدّ أن يكونا بمعنى واحد غير أنّ الأوّل عَلَم دون الآخر، و لايتجاوز التفاوت بينهما هذا الحدّ، فلفظ الجلالة مأخوذ من «إله»، فحذفت منه الهمزة وحلّ مكانها اللام فصار «اللَّه». الاسماء الثلاث، ص: ۸ يقول الزمخشرى: اللَّه، أصله «الاه»، قال الشاعر: معاذ الإله أن تكون كظبية ولا دمية ولا عقيلة ربرب «۱» ونظيره، الناس، أصله أُناس، فحذفت الهمزة وعوضت عنها حرف التعريف. و لذلك قيل فى النداء يا اللَّه بالقطع، كما يقال يا إله، و الإله من أسماء الأجناس كرجل. «۲» و قال سيبويه فى تفسير لفظ الجلالة: انّ أصله «إلاه» على وزن فعال فحذفت الفاء التى هى الهمزة و جعلت الألف و اللام عوضاً لازماً عنها، بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة «۳» الداخلة على لام التعريف فى النداء فى نحو قوله: يا اللَّه اغفر لى، و لو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة فى الوصل كما لم تثبت فى غير هذا «۴» الاسم. وقال الراغب فى مفرداته: اللَّه أصله إله فحذفت همزته و أُدخل عليه الألف واللام فخص بالبارى و لتخصصه به قال تعالى: «هل تعلم له سمياً». «۵» و على هذا فلا نحتاج إلى تفسير «إله» إلى شىء وراء تصور أنّ هذا اللفظ كلىّ و ما وضع عليه لفظ الجلالة، و بما أنّ هذا اللفظ (اللَّه) من أوضح المفاهيم فلانحتاج فى فهم اللفظ الموضوع للكلى من هذا الفرد إلى شىء آخر. وعلى ذلك، فلا فرق بينَ لفظ الجلالة و لفظ «إله» سوى أنّ أحدَهما علم والآخر موضوع لمعنى كلىّ، ومصداق لفظ الجلالة فرد منه، و إن لم يوجد لهذا الاسماء الثلاث، ص: ۹ الكلى فرد حقيقى سوى اللَّه سبحانه. نعم اخترعت الأوهام لهذاالكلىّ مصاديقَ خاطئة تصوروا أنّها من مصاديقه ولكنّها آلهة كاذبة ليست لها من الأُلوهية سوى الاسم الذى أطلقوه عليها، يقول سبحانه: «إِنْ هِيَ إِلّا أَسْماءٌ سَمَّيتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطان» (النجم/ ۲۳). فإذا كان المتبادرُ من لفظ الجلالة شىء غير المعبود، كواجب الوجود، أو الذات الجامعة لصفات الجمال والكمال او خالق السماوات والأرض و مافيهنّ و مابينهنّ مدبّرها أو ما يقرب ممّا ذكر، فليكن المتبادر من «الإله» هو ذلك غير أنّ أحدهما علم والآخر كلى. و يؤيد وحدة مفهومها بالذات مضافاً إلى ما ذكرناه من وحدة المادة، أنّه ربما يستعمل لفظ الجلالة مكان الإله بمعنى أنّه يستعمل فى المعنى الكلى و الوصفى دون العلمى فيصح وضعه مكان الإله كما فى قوله سبحانه: «وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمواتِ وَ فِي الأَرض يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ» (الأنعام/ ۳)، فالآية تهدف إلى أنّ إله السماء هو إله الأرض و ليس هناك آلهة بحسب الأنواع و الأقوام، فالضمير (هو) مبتدء و لفظ الجلالة خبر والمعنى هو المتفرد بالإلهيّة فى السماوات فوزانها وزان قوله سبحانه: «وَ هُوَ الّذى فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلهٌ وَ هُوَ الْحَكيم العَليم» (الزخرف/ ۸۴). فانّ اللفظين فى الآيتين بمعنى و احد، بمعنى أنّ لفظ الجلالة فى الآية الأُولى خرجَ عن العلمية و عاد إلى الكلّية والوصفية، ولذلك صح جعله مكانَ الإله فى الآية الأُولى، و جىء بنفس لفظ الإله فى الآية الثانية. و قريب من هاتين الآيتين الآية التالية إذ يقول سبحانه: الاسماء الثلاث، ص: ۱۰ «وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيراً لَكُمْ إِنّما اللَّهُ إِلهٌ واحِد سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَد» (النساء/ ۱۷۱). ومن المعلوم أنّ لفظ الجلالة فى الآية منسلخ عن معنى العلمية لوضوح أنّ مصداق العلم واحد لا كثير فلا وجه للتركيز على انّه واحد، فإذاً لايصحّ التركيز إلّا بانسلاخ لفظ الجلالة عن معنى العلمية حتى يصحّ التأكيد على أنّ اللَّه إله واحد. نعم لقائل أن يقول: إنّ الإله فى الآية بمعنى المعبود، والهدف من التأكيد بالوحدانيّة، أنّه لا معبود سواه، فتكون النتيجة حصر المعبود الواحد فيه سبحانه. و لكن التمعن فى صدرها و ذيلها، لا يدعم ذلك الرأى و ذلك لانّها بصدد إثبات توحيد الذات و إبطال التثليث كما عليه النصرانية فى عصر الرسول و ما بعده إلى يومنا هذا. فالمسيح عندهم جزء من العناصر الثلاثة التى تشكل إلهاً واحداً ويُشار إلى ذلك الواحد بلفظ الجلالة، ففى ذلك الموقف الخطير الذى يريد فيه النصرانى نفى توحيد الذات وإثبات كثرتها يُناسب التركيز على وحدة الذات، وتوحيدها، لا وحدة المعبود التى لا تصل النوبة إليها إلّا بعد الفراغ عن مسألة وحدة الذات وكثرتها قال سبحانه: «يا أَهْلَ الْكِتاب لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلّا الحَقَّ إِنَّما الْمَسيحُ عيسَى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقيها إِلى

مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيراً لَكُمْ إِنَّما اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِي السَّمواتِ وَما فِي الأَرْض وَكَفى بِاللَّهِ وَكيلًا» (النساء/ ۱۷۱). قد صيغت الآية و كأنّها سبيكة واحدة، لدحض مزعمة التثليث التى لاتتفق مع وحدانية الذات و لأجل ذلك يقول بعد قوله: «إِنّما اللّه إله واحد» «سبحانه أن يكون له ولد» أى فهو موجود بسيط، «لم يلد و لم يولد»، فكيف يكون له ولد، و هو فى غنى عن الولد، وهو مالك لما فى السماوات و الأرض. الاسماء الثلاث، ص: ۱۱ وكلّ عربى صميم إذا تجرد عن كلّ رأى مسبق و دعم أى مذهب، لا يتلقى من الآية، إلّا ما ذكرنا و انّ المقصود أنّه لا مصداق للإله الذى يعتقده الإنسان بقضاء الفطرة إلّا هو. وهناك مجموعة من الآيات يمكن أن نستظهر منها ما قويناه و هو وحدة مفهوم اللفظين (اللّه- الإله) و الاختلاف بينهما فى الجزئية والكلية. قال سبحانه: «هُوَ اللَّهُ الّذى لا إِلهَ إِلّا هُو عالِمُ الغَيبِ و الشَهادَةِ هوَ الرَحْمنُ الرَحيم* هُوَ اللَّهُ الّذى لا إِلهَ إِلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللَّهِ عَمّا يُشْرِكُونَ* هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ البارئ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْماءُالْحُسنى يُسَبِحُ لَهُ ما فِي السَّمواتِ وَ الأَرض وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيم» (الحشر/ ۲۳- ۲۴). وأمّا كيفية الدلالة، فبيانها: انّ مرجعَ الضمير فى صدر الآيات هو الموجود الذى يعتقده الإنسان بقضاء الفطرة و يتوجه إليه فى الشدائد و المصائب و تعبّر عنه كلّ أُمة بلغتها- فعندئذٍ، يكون مفاد الآية أنّ ذاك المعتقد العام (هو) ليس إلّامن له هذه الأوصاف. «اللَّهُ الّذى لا إِلهَ إِلّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ ...». «اللَّهُ الّذى لا إِلهَ إِلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ...». «اللَّهُ الْخالِقُ البارئ المُصَوِّر ...» (الحشر/ ۲۲- ۲۴). إلى غير ذلك من خصائص الإله. فلا مناص فى تفسير الآيات عن القول بانسلاخ لفظ الجلالة عن معنى العلمية، وترادفه مع لفظ الإله حتى يقع وصفاً كسائر الأوصاف. الاسماء الثلاث، ص: ۱۲

مفهوم الإله فى القرآن

مفهوم الإله فى القرآن قد تعرفت على معنى الإله فى اللغة، و حان حينُ البحث فى المقام الثانى و هو مفهومه فى القرآن الكريم نقول: إنّ هنا آيات تدل بوضوح على أنّ الإله ليس بمعنى المعبود، بل بمعنى المتصرف المدبر أو من بيده أزمّة الأمور، أو ما يقرب من ذلك على وجه يميّزه عن الموجودات الإمكانيّة. و إليك بعض هذه الآيات: ۱- «لَو كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» (الأنبياء/ ۲۲). فانّ البرهان على نفى تعدد الآلهة لا يتم إلّاإذا جعلنا «الإله» فى الآية بمعنى المتصرف، المدبر أو من بيده أزمّة الأُمور أو ما يقرب من هذين. ولو جعلنا الإله بمعنى المعبود لانتقض البرهان، لبداهة تعدد المعبود فى هذا العالم، مع عدم الفساد فى النظام الكونى، و قد كانت الحجاز يوم نزول هذه الآية مزدحمة بالآلهة، و مركزاً لها و كان العالم منتظماً، غير فاسد. و عندئذٍ يجب على من يجعل «الإله» بمعنى المعبود أن يقيّده بلفظ «بالحق» أى لو كان فيهما معبودات- بالحق- لفسدتا، و لما كان المعبود بالحقّ مدبّراً و متصرفاً لزم من تعدده فساد النظام و هذا كلّه تكلّف لامبرّر له. ۲- «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعضُهُمْ عَلى بَعْضٍ» (المؤمنون/ ۹۱). ويتم هذا البرهان أيضاً إذا فسرنا الإله بما ذكرنا من أنّه كلى ما يطلق عليه لفظ الجلالة. و إن شئت قلت: إنّه كناية عن الخالق، أو المدبّر، المتصرف، أو من يقوم بأفعاله و شؤونه. والمناسب فى هذا المقام هو الخالق. و يلزم من تعدده ما رتب عليه فى الآية من ذهاب كلّ إله بما خلق و اعتلاء بعضهم على بعض. و لو جعلناه بمعنى المعبود لا تنقض البرهان، لأنّه لايلزم من تعدده أى الاسماء الثلاث، ص: ۱۳ اختلال فى الكون. وأدلّ دليل على ذلك هو المشاهدة. فإنّ فى العالم آلهة متعددة، و قد كان فى أطراف الكعبة المشرفة ثلاثمائة و ستون إلهاً و لم يقع أىّ فساد و اختلال فى الكون. فيلزم على من يفسر (الإله) بالمعبود ارتكاب التكلّف بما ذكرناه فى الآية المتقدمة. ۳- «قُل لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لا بتغَوْا إِلى ذِى الْعَرْش سَبِيلًا» (الإسراء/ ۴۲). فانّ ابتغاء السبيل إلى ذى العرش من لوازم تعدد الخالق أو المدبّر المتصرف أو من بيده أزمّة أمور الكون أو غير ذلك ممّا يرسمه فى ذهننا معنى الأُلوهية، و أمّا تعدد المعبود فلا يلزم ذلك إلّا بالتكلّف الذى أشرنا إليه فيما سبق. ۴- «إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حصبُ جهَنّمَ أَنتُمْ لهَا وارِدُونَ* لَوْ كانَ هؤلاءِ آلهةً ما وَردُوها» (الأنبياء/ ۹۸- ۹۹). والآية تستدل بورود الأصنام و الأوثان فى النار على أنّها

ليست آلهة إذ لو كانوا آلهة ما وردوا النار. والاستدلال إنّما يتم لو فسرنا الآلهة بما أشرنا إليه فانّ خالق العالم أو مدبّره و المتصرف فيه أو من فوض إليه أفعال اللّه أجلّ من أن يُحكَم عليه بالنار و أن يكون حصبَ جهنّم. وهذا بخلاف ما إذا جعلناه بمعنى المعبود فلا يتم البرهان، إذ لا ملازمة بين كونها معبودات و عدم كونها حصبُ جهنم. ولو أمعنت فى الآيات التى ورد فيها لفظ الإله و الآلهة لقدرت على استظهار ما اخترناه. وإليك مورداً منها فى قولهتعالى: ۵- «فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وبَشِّرِ المُخْبِتينَ» (الحج/ ۳۴). الاسماء الثلاث، ص: ۱۴ فلو فسر الإله فى الآية بالمعبود لزم الكذب، إذ المفروض تعدد المعبود فى المجتمع البشرى، و لأجل دفع هذا ربما يقيد الإله هنا بلفظ «الحقّ» أى المعبود الحقّ إله واحد. ولو فسرناه بالمعنى البسيط الذى له آثار فى الكون من التدبير والتصرف، و إيصال النفع، و دفع الضرّ على نحو الاستقلال لصحّ حصر الإله- بهذا المعنى- فى واحد بلا حاجة إلى تقدير كلمة بيانية محذوفة إذ من المعلوم أنّه لاإله فى الحياة الإنسانية و المجتمع البشرى يتصف بهذه الصفات التى ذكرناها إلّا اللّه سبحانه. ولا نريد أن نقول: إنّ لفظ «الإله» بمعنى الخالق المدبّر المحيى المميت الشفيع الغافر، إذ لا يتبادر من لفظ «الإله» إلّاالمعنى البسيط. بل هذه الصفات عناوين تشير إلى المعنى الذى وضع له لفظ الإله. و معلوم أنّ كونَ هذه الصفات عناوين مشيرة إلى ذلك المعنى البسيط، غيرُ كونها معنى موضوعاً له اللّفظ المذكور كما انّ كونه تعالى ذو سلطة على العالم كله أو سلطة مستقلة غير معتمدة على غيره، وصف نشير به إلى المعنى البسيط الذى نتلقاه من لفظ «اللّه»، لا أنّه نفس معناه. إلى هنا- أيّها القارئ الكريم- قد وقفت على معنى الإله، و الأُلوهية، وانّه ليس الإله بمعنى المعبود بل المراد منه نفس المراد من لفظة «اللّه» لا غير، إلّا أنّ أحدهما علم، والآخر كلّى. نعم ربما يفسّر الإله بمعنى المعبود و لكنّه تفسير باللازم فانّ من اتخذ أحداً إلهاً لنفسه فانّه يعبده قهراً و يفزع إليه عند الشدائد، و تسكن نفسه عند ذكره إلى غير ذلك من اللوازم والآثار للإله و هذا لا يسوّغ لنا أن نفسر الملزوم بكلّ لازم له. إلى هنا خرجنا بالنتيجة التالية: إنّ اللفظين واحد مبدءاً و معنًى، و إنّ المفهوم من لفظ «إله» هو المفهوم من لفظ الجلالة ولا فرق بينهما سوى فى الجزئية و الكلّية. الاسماء الثلاث، ص: ۱۵

الفصل الثانى

الربّ فى اللغة و الذكر الحكيم

الربّ فى اللغة و الذكر الحكيم قد ورد لفظ «الربّ» فى الذكر الحكيم بصيغه المختلفة، مفرداً و جمعاً، مضافاً و غير مضاف ۹۸۷ مرّة، و لايقال الرّب لغير اللّه الّا بالإضافة. ذكر أصحاب المعاجم للربّ معانى مختلفة قائلين بأنّ: ربُّ كلّ شىء: مالكُه و مستحقّه و صاحبه. ربَّ الأمر: أصلحه. الربُّ: المالك، المصلح، السيد. «۱» وما يشابه هذه المعانى و يماثلها. إنّ المفروض على كتب اللغة هو ضبط موارد استعمال الكلمة، سواء أكان المستعمل فيه هو الّذى وضعت له اللفظة أم لا، و لذلك جاءت المعانى المجازيّة فى جنب المعانى اللغوية بحجة أنّ الجميع مستعمل فيه، و هذا نقص واضح و مشهود فى كتب اللغة و معاجمها. وهناك نقص آخر و هو، أنّ اللغوى ربما يعدّللكلمة معانى كثيرة على وجه يظنُّ القارئ أنّها مشتركة وضعاً بين هذه المعانى، و لكنّه سرعان ما يرجع بعد التمعّن بأنّها صور مختلفة لمعنى واحد و ليس اللفظ موضوعاً إلّا لمعنى جامع، و الاسماء الثلاث، ص: ۱۶ من الصدف أنّ لفظة الرب تعانى من واجهت هذا المصير حتى أنّ كاتباً كالمودودىّ تصور أنّ لها خمسة معان فى الأصل و ذكر لكلّ معنى من المعانى الخمسة شواهد من القرآن الكريم ولكنّه خفى عليه أنّها ليست معانى مختلفة و إنّما هى صور موسعة لمعنى واحد و إليك هذه الموارد والمصاديق: ۱- التربية، مثل ربّ الولد، ربّاه. ۲- الإصلاح والرعاية مثل ربَّ الضيعة. ۳- الحكومة والسياسة مثل فلان قد ربَّ قومَه أى ساسهم وجعلهم ينقادونله. ۴- المالك كما جاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أربُّ غنمٍ أم ربّ إبل. ۵- الصاحب مثل قوله: ربّ الدار أو كما يقول القرآن الكريم: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْت» (قريش/ ۳). لاريب أنّ هذه المعانى قد أريدت من اللفظة فى هذه الموارد و ما يشابهها و لكن جميعها يرجع إلى معنى واحد أصيل، وما هذه المعانى إلّامصاديق و صور مختلفة لذلك المعنى الأصيل وماهى سوى

تطبيقات متنوعة لذلك المفهوم الحقيقى و هو، من فوض إليه أمر الشيء المربّى من حيث الاصلاح و التدبير و التربية. فإذا قيل لصاحب المزرعة أنّه ربّها، فلأجل أنّ إصلاح أُمور المزرعة مرتبطة به و فى قبضته. وإذا أطلقنا على سائس القوم، صفة الربّ، فلأنّ أُمور قومه مفوّضة إليه، فهو قائدهم، ومالك تدبيرهم و منظم شؤونهم. وإذا أطلقنا على صاحبِ الدار و مالِكه اسمَ الربّ، فلأنّه فوض إليه أمر تلك الدار و إدارتها و التصرّف فيها كما يشاء. فعلى هذا يكون المربى و المصلح و الرئيس و المالك و الصاحب و ما الاسماء الثلاث، ص: ۱۷ يشابهها مصاديق و صور لمعنى واحد أصيل يوجد فى كلّ هذه المعانى المذكورة، و ينبغى أن لا نعتبرها معانى متمايزة و مختلفة للفظة الربّ بل المعنى الحقيقى و الأصيل للفظ هو: من بيده أمر التدبير و الإدارة و التصرّف، وهو مفهوم كلّى و متحقّق فى جميع المصاديق والموارد الخمسة المذكورة (أعنى: التربية، و الإصلاح، و الحاكمية و المالكية، و الصاحبية). فإذا أطلق يوسف الصديق عليه السلام لفظ الربّ على عزيز مصر، و قال: «إنّه رَبّى أحسنَ مَثْوايَ» (يوسف/ ۲۳). فلأجل أنّ يوسف تربّى فى بيت عزيز مصر وكان العزيز متكفلًا لتربيته الظاهرية وقائماً بشؤونه. و إذا وصف يوسف عزيزَ مصر بكونه ربّاً لصاحبه فى السجن، و قال: «أمّا أَحَدُكُما فَيَسقى ربَّهُ خَمراً» (يوسف/ ۴۱). فلأنّ عزيز مصر كان سيّدَمصر و زعيمها و مدبّر أُمورها و متصرّفاً فى شؤونها و مالكاً لزمامها. وإذا وصف القرآن اليهود و النصارى بأنّهم اتّخذوا أحبارهم أرباباً إذ يقول: «اتَّخَذوا أحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» (التوبة/ ۳۱). فلأجل أنّهم أعطوهم زمام التشريع واعتبروهم أصحاب سلطة و قدرة فيما يختص باللّه. وإذا وصف اللّه نفسه بأنّه «ربّ البيت» فلأنّ إليه أُمور هذا البيت مادّيها و معنويها، ولا حقّ لأحد فى التصرّف فيه سواه. وإذا وصف القرآن «اللّه» بأنّه: «رَبُّ السَّمواتِ وَ الأَرْضِ» (الصافات/ ۵). الاسماء الثلاث، ص: ۱۸ وانّه: «ربُّ الشِّعْرى» (النجم/ ۴۹). وما شابه ذلك، فلأجل أنّه تعالى مدبّرها و المتصرف فيها و مصلح شؤونها والقائم عليها. وبهذا البيان نكون قد كشفنا القناع عن المعنى الحقيقى للرب، الذى ورد فى مواضع عديدة من الكتاب العزيز.

التوحيد فى الربوبية غير التوحيد فى الخالقية

التوحيد فى الربوبية غير التوحيد فى الخالقية إنّ الشائع بين الوهابيين تقسيم التوحيد إلى: ۱- التوحيد فى الربوبية. ۲- التوحيد فى الأُلوهية. قائلين بأنّ التوحيد فى الربوبيّة بمعنى الاعتقاد بخالق واحد لهذا الكون كان موضع اتّفاق جميع مشركى عهد الرسالة. وأمّا التوحيد فى الأُلوهية فهو التوحيد فى العبادة الذى يُعنى منه أن لا يعبد سوى اللّه، و قد انصب جهد الرسول الكريم على هذا الأمر. «۱» والحقّ أنّ اتّفاق جميع مشركى عهد الرسالة فى مسألة التوحيد الخالقى ليس موضع شك، و لكن تسمية التوحيد الخالقى بالتوحيد الربوبى خطأ و اشتباه. وذلك لانّ معنى «الربوبية» ليس هو الخالقية كما توهم هذا الفريق، بل هو- كما أوضحنا و بينا سلفاً- ما يفيد التدبير و إدارة العالم، و تصريف شؤونه و لميكن هذا- كما نبيّن- موضع اتّفاق بين جميع المشركين و الوثنيين فى عهد الرسالة الاسماء الثلاث، ص: ۱۹ كما ادعى هذا الفريق. «۱» نعم كان فريق من مثقفى الجاهليين يعتقدون بعدم وجود مدبّر سوى اللّه و لكن كانت تقابلهم جماعات كبيرة ممن يعتقدون بتعدد المدبر والتدبير، و هى قضية تستفاد من الآيات القرآنية مضافاً إلى المصادر التاريخيّة. و هنا نلفت نظر الوهابيين الذين يسمّون التوحيد فى الخالقية، بالتوحيد فى الربوبية إلى الآيات التالية حتى يتضح لهم أنّ الدعوة إلى التوحيد فى الربوبية لا تعنى الدعوة إلى التوحيد فى الخالقية بل هى دعوة إلى «التوحيد فى المدبّرية» والتصرف، و قد كان بين المشركين فى ذلك العصر من كان يعانى انحرافاً من التوحيد الربوبى، و يعتقد بتعدد المدبِّر رغم كونه معتقداً بوحدة الخالق. و لايمكن- أبداً- أن نفسر الربّ فى هذه الآيات بالخالق والموجد. و إليك بعض هذه الآيات. أ: «بَل ربُّكُمْ رَبُّ السَّمواتِ وَالأَرض الّذى فَطرهنّ» (الأنبياء/ ۵۶). فلو كان المقصود من الربّ هنا هو الخالق و الموجد، لكانت جملة «الّذى فطرهن» زائدة بدليل أنّنا لو وضعنا لفظة الخالق مكان الربّ فى الآية للمسنا عدم الاحتياج- حينئذٍ- إلى الجملة المذكورة (أعنى: «الذى فطرهن»). بخلاف ما إذا فسّر الربّ بالمدبّر و المتصرّف، ففى هذه الصورة تكون الجملة الأخيرة مطلوبة، لأنّها تكون- حينئذٍ- علّة للجملة الأُولى، فتعنى هكذا:

إنّ خالق الكون، هو المتصرف فيه و هو المالك لتدبيره و القائم بإدارته، لاشخص آخر فلماذا فرقتم بين الخالق والربّ و لماذا حصرتم الخالقيهٔ فی اللّه سبحانه، و أعطيتم الربوبيهٔ لغيره. ب: «يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الّذی خَلَقَكُمْ» (البقرهٔ/ ۲۱). الاسماء الثلاث، ص: ۲۰ فانّ لفظهٔ الربّ فی هذه الآيهٔ ليست بمعنی «الخالق» و ذلک علی غرار ما قلناه فی الآيهٔ المتقدمهٔ المشابهٔ لما نحن فيه، إذ لو كان الربّ بمعنی الخالق لما كان لـذكر جملـهٔ «الّـذی خلقكم» وجه، بخلاف ما إذا قلنا بأنّ الربّ يعنی المـدبّر فتكون جملـهٔ: «الّذی خلقكم» علّهٔ للتوحيد فی الربوبيهٔ إذ يكون المعنی حينئذٍ هو: انّ الّذی خلقكم، هو مدبّركم. ج: «قُلْ أَغَيْرَاللّهِ أَبْغی رَبّاً وَ هُوَ رَبُّ كُلّ شَیْءٍ» (الأنعام/ ۱۶۴). وهـذه الآيـهٔ حاكيـهٔ عن أنّ مشركی عصر الرسالـهٔ كانوا علی خلاف مع الرسول الكريم صلی الله عليه و آله و سلم فی مسألهٔ الربوبيـهٔ علی نحو من الأنحاء وانّ النبی الأعظم كان مكلّفاً بأن يُفنّـد رأيهم و يبطل عقيدتهم ولا يتخذ غير اللّه ربّاً علی خلاف ما كانوا عليه. و من المحتّم أنّ خلاف النبی مع المشركين لم يكن حول مسألـهٔ «التوحيـد فی الخالقيهٔ» بدليل أنّ الآيات السابقهٔ تشـهد من غير إبهـام بـأنّهم كـانوا يعترفون بـأنّه لاـ خـالق سوی اللّه تعالی، و لـذلک فلا مناص من الإذعان بأنّ الخلاف المـذكور كان فی غير مسألهٔ الخالقيـهٔ، و ليس هـو إلّامسألـهٔ تـدبير الكون، بعضه أو كلّه. د: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قـالُوا بَلی شَـهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَومَ القِيامَـهِٔ إِنّـا كُنّـا عَنْ هـذا غافِلِينَ» (الأعراف/ ۱۷۲). فقـد أخـذ اللّه فی هـذه الآيهٔ- من جميع البشـر- الإقرار بالتوحيد الربوبی و كانت علّهٔ ذلک هی ما ذكره من أنّه سيحتج علی عباده بهذا الميثاق يوم القيامهٔ كما يقول: «أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أشرکَ آباؤنا مِنْ قبلُ وَ كُنّا ذُرِيّهً من بعدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» (الأعراف/ ۱۷۳). إذا تبيّن هـذا فنقول: إنّ نزولَ هـذه الآيـهٔ فی بيئهٔ مشـركهٔ، دليل- و لا شكّ- علی وجود فريق معتد به فی تلک البيئـهٔ كانوا يخالفون هذا الميثاق، فإذا كانت الاسـماء الثلاث، ص: ۲۱ الربوبيـهٔ بمعنی الخالقيهٔ اسـتلزم ذلک أن يكون فی تلک البيئهٔ من يخالفون النبیّ فی الخالقيهٔ، و لكن الفرض هو عدم وجود أیّ اختلاف فی مسألهٔ «توحيد الخالقيهٔ» فی عصـر الرسالهٔ فلم يكن المشـركون فی ذلک العصـر مخالفين فی هـذه المسألهٔ ليُعتبروا مخالفين للميثاق المذكور، فلا محيص- حينئذٍ- من أنّ الخلاف كان- آنـذاک- فی مسألـهٔ تدبير العالم و إدارهٔ الكون. و بهذا التقرير يكون معنی الربّ فی الآيهٔ المبحوثهٔ هنا هو المدبّر. ه: «أتقتلُونَ رجُلًا أنْ يقوَل ربِّی اللّهُ و قـد جاءكُمْ بالبيِّنات منْ ربِّكُمْ» (غافر/ ۲۸). تتعلق هـذه الآيهٔ بمؤمن آل فرعون الّذی كان يدافع عن النبیّ موسـی عليه السـلام وراء قناع النصـيحهٔ و الصداقهٔ لآل فرعون ويسـعی تحتَ سـتار الموافقهٔ لهم أن يدفع الخطر عن ذلک النبیّ العظيم. وأمّا دلالتها علی كون الربّ بمعنی المدبّر فواضـحهٔ، لأنّ فرعون ما كان يدّعی انّه خالق الأرض و السماء ولا الشركهٔ مع اللّه سبحانه فی خلق العالم و إيجاده، و هـذه حقيقـهٔ يـدلّ عليها تاريـخ الفراعنهٔ أيضاً. و فی هذه الصورهٔ يجب أن يكون المراد من دعوهٔ النبیّ موسـی بقوله: ربّی اللّه، هو حصـر «التدبير» فی اللّه سبحانه لا مسألهٔ الخلق. ولو كانت تتعلق بمسألهٔ الخلق والإيجاد لما كان بينه و بين فرعون أیّ خلاف و نزاع، إذ المفروض أنّ فرعون كان يعترف بخالقيهٔ اللّه- كما أسـلفنا- هذا مضافاً إلی أنّ اللّه تعالی يقول فی الآيهٔ السابقهٔ لهذه الآيهٔ. و: «ذَرُونی أقتلْ مُوسـی و لْيَدعُ ربَّهُ إنّی أخافُ أنْ يبدِّلَ دينَكُمْ» (غافر/ ۲۶). فانّ التوحيد فی الخالقيهٔ لم يكن موضع خلاف لتكون دعوهٔ موسی لبنی إسرائيل سبباً لأیّ تبدّل و تبديل. الاسماء الثلاث، ص: ۲۲ و من هذا البيان يتضح المراد من قول فرعون: «أَنَا رَبُّكُمُ الأعلی» (النازعات/ ۲۴). ز: «فَقـالُوا رَبُّنـا رَبُّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَـدْعُوَا مِنْ دونِهِ إلهاً» (الكهف/ ۱۴). إنّ الفتيـهٔ الّـذين فرّوا من ذلک الجوّ الخانق الذی أوجدته طواغيت ذلک الزمان، كانوا جماعهٔ يسكنون فی مجتمع يعتقد بأُلوهيهٔ غير اللّه، و لكن أُلوهيهٔ غير اللّه- فی ذلک المجتمع- لم تكن بصورهٔ تعـدد الخالق، خاصـهٔ أنّ واقعـهٔ أهل الكهف حدثت بعد ميلاد السـيد المسيح حيث كانت عقول البشـريهٔ و أفكارهـا قـد تقـدمت فی المسائل التوحيديـهٔ بشـكل ملحوظ وحظت من الرقی بمقـدار معتـد به، و لم يكن يعقل- فی ظلّ هـذا الرقی الفكری- وجودُمجتمعٍ منكرٍ لخالقيهٔ اللّه، أو مشرک فيها فلابدّ أن يقال إنّ شركهم يرجع إلی أمر آخر و هو الاعتقاد بتعدد المدبر. ح: إنّ البرهان الواضـح علی أنّ مقام الربوبيـهٔ هو مقام المدبريـهٔ و ليس الخالقيّـهٔ كما يتوهم، هو الآيهٔ المتكررهٔ فی سورهٔ «الرحمن». «فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان». فقد وردت هذه الآيهٔ فی السورهٔ المذكورهٔ ۳۱ مرهٔ و جاءت لفظهٔ «ربّ» جنباً إلی جنب مع لفظهٔ «آلاء» التی تعنی النعَم و غير خفی أنّ التـذكير باسـباغ النعم مرّهٔ بعـد أُخری يناسب مقام التربيـهٔ و التدبير فإرداف ذكرها، بذكر الربشاهد علی أنّ اللفظ

بمعنى المدبّر والمدير والمربّى والمصلح. لا الخالق والموجد. و إن شئت قلت: إنّ ذكر النعم (التى هى من شعب التربية الإلهية التى يُوليها سبحانه للبشر) يناسب موضوع التربية والتدبير الذى تندرج فيه إدامة النعم و إدامة الإفاضة. الاسماء الثلاث، ص: ۲۳ ط: لقد اقترنت مسألة الشكر مع لفظة الربّ فى خمسة موارد فى القرآن الكريم، و الشكر إنّما يكون فى مقابل النعمة التى هى سبب بقاء الحياة الإنسانية و دوامها وحفظها من الفناء وصيانتها من الفساد، و ليست حقيقة تدبير الإنسان إلّاإدامة حياته وحفظها من الفساد والفناء. و إليك هذه الموارد: «وَ إِذْتَأَذَّن رَبّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لازِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِى لَشَديد» (إبراهيم/ ۷). «وَ قالَ رَبِّ أَوزِعْنى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلى والِدَىَّ» (النمل/ ۱۹). «قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبّى لِيَبْلُوَنى ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُوَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» (النمل/ ۴۰). «قالَ رَبِّ أَوزِعْنى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلى والِدَىَّ» (الأحقاف/ ۱۵). «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيّبَةٌ وربٌّ غَفور» (سبأ/ ۱۵). ی: و ممّا يدل على ما قلناه قوله سبحانه: «فَقُلْتُ استغفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً* يُرْسِلِ السَّماءَعَلَيْكُمْ مِدراراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً» (نوح/ ۱۰- ۱۲). و مثله قوله سبحانه فى سورة هود الآية ۵۲. يلاحظ القارئ الكريم كيف جعلت إدارة الكون و تدبير شؤونه تفسيراً للرب: فهو الذى يرسل المطر، و هو الذى يُمْدد بالأموال والبنين، و هو الّذى الاسماء الثلاث، ص: ۲۴ يجعل الجنات، و هو الّذى يجعل الأنهار، وكلّ هذه الأُمور جوانب و صور من التدبير. إنّ الحوار الدائر بين النبى إبراهيم و طاغوت عصره نمرود يكشف القناع عن معنى الربّ و الربوبية فالآية التالية تتضمن مضمون الحوار و إليك نصّها قال سبحانه: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذى حاجَّ إِبْراهيمَ فِى رَبِّهِ أَنْآتاه اللَّهُ الملك إِذْقالَ إِبْراهيم رَبّى الّذى يحى و يُميت قالَ أَنَ أُحْيى و أُميت قالَ إِبْراهيم فانّ اللَّه يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرق فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الّذى كَفَرَوَ اللَّهُ لا يَهْدِى القوم الظّالمين» (البقرة/ ۲۵۸). فكأنّ نمرود كان يدعى أنّه ربّ من يسوسهم بدليل انّ إبراهيم إبتدأ كلامه بقوله: «ربّى الّذى يحيى و يميت» ومعناه لو كنت صادقاً فى ادعاء الربوبية فعليك القيام بشؤون الربوبية كالاحياء و الاماتة و لما فوجئ بهذا البرهان الدامغ المبطل لإدعائه السخيف حاول أن يفسر كلام إبراهيم بشكل خاطئ قال أنا أيضاً أملك الموت والحياة فأقتل من أشاء و أحقن دم من أُريد، فعندئذٍ عدل إبراهيم إلى حجّة أُخرى ليقطع الطريق عليه و لايكون فى وسع نمرود أن يعارضها فقال: أنّ ربّى له سلطان على الشّمس فى طلوعها و غروبها فلو صحّ انّك ربّ فقم بهذا العمل» فأنّ اللَّه يأتى بالشّمس من المشرق فأت بها من المغرب» فلما سمع نمرود هذا الدليل القاطع و أيقن انّه ليس فى وسعه المعارضة سكت و لم ينبس ببنت شفه يقول سبحانه «فَبُهِتَ الّذى كَفَرَ». لم يكن النزاع بين النبى إبراهيم و نمرود فى خالقيته إذ لا يدعيها إلّا المصاب بعقله بل فى ربوبيته لمن كان يسوسهم فكان إبراهيم يدعى انّه لا ربّ إلّا ربّ واحد و أنّ الكون بأجمعه مربوب للّه و لم يكن هناك أى تقسيم للربوبية و لكن نمرود كان يعتقد بربوبية نفسه و كانت حجّته أنّه ذا سلطة و ملك كمايحكى عنه قوله سبحانه: «إن آتاه اللَّه الملك» فجعل ذلك دليلًا على ربوبيّته لمن كانوا الاسماء الثلاث، ص: ۲۵ يعيشون فى ملكه و زعم انّ أمرهم وحياتهم و مماتهم و كلّ تشريع يرجع إليه وبيده. فالحوار بمضمونه يفسر لنا معنى الربّ والربوبية و هو المتصرف المالك لشؤون المربوب فى آجله فإذا كان الاحياء والاماتة وا لسلطة على طلوع الشمس من آثار الربوبية فهى غير الخالقية. و بالتالى يرجع معناها إلى كون الرب مالكاً لحياته و موته، و لاصلاحه و افساده.

نتيجة هذا البحث:

نتيجة هذا البحث: من هذا البحث الموسع يمكن أن نستنتج أمرين: ۱- إنّ ربوبية اللَّه عبارة عن مدبريته تعالى للعالم و ليس معناها خالقيته. ۲- دلّت الآيات المذكورة فى هذا البحث على أنّ مسألة «التوحيد فى التدبير» لم تكن موضع اتّفاق بخلاف مسألة «التوحيد فى الخالقية» و أنّه كان ثمة فريق يعتقد بمدبرية غير اللَّه للكون كلّه أو بعضه، و كانوا يخضعون أمامه باعتقاد أنّهربّ. و بما أنّ الربوبية فى التشريع غير الربوبية فى التكوين فيمكن أن يكون بعض الفرق موحّداً فى الثانى ومشركاً فى القسم الأوّل، فاليهود و النصارى تورطوا فى «الشرك الربوبى» التشريعى لأنّهم أعطوا زمام التقنين والتشريع إلى الأحبار و الرهبان و جعلوهم أرباباً من هذه الجهة، فكأنّه

فُوِّض أمر التشريع إليهم!!!، و من المعلوم أنّ التقنين والتشريع من أفعاله سبحانه خاصة. فها هو القرآن يقول عنهم: «اتَّخَذوا أحبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» (التوبة/ ۳۱). «وَ لا يَتَّخِذْبَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» (آل عمران/ ۶۴). فی حین أنّ الشرک فی الربوبیة لدی فریق آخر ما کان ینحصر بهذه الدائرة الاسماء الثلاث، ص: ۲۶ بل یتمثل فی إسناد تدبیر بعض جوانب الکون، و شؤون العالم إلی الملائکة و الجنّ والأرواح المقدسة، أو الأجرام السماویة، وإن لم نعثر- إلی الآن- علی من یعزی تدبیر «کل» جوانب الکون إلی غیر اللَّه، و لکن مسألة الشرک فی الربوبیة تمثلت فی الأغلبشبه تدبیر «بعض» الأُمور الکونیة إلی بعض خیار العباد وبعض المخلوقات.

خاتمة المطاف

اشارة

خاتمة المطاف إذا تعرّفت علی مفهوم «الإله» و «الرب» فاعلم إنّ للتوحید مراتب قد بیّنها علماء الإسلام فی کتبهم العقائدیة و برهنوا علیها من الکتاب والسنة والعقل الصریح، و بما أنّ بحثنا فی الأمر الثالث مرکّز علی التوحید فی العبادة والشرک فیها، نذکر مراتب التوحید بایجاز، ثمّ نتکلم عن القسم الأخیر بالتفصیل، و فی فصل خاص. فنقول: للتوحید مراتبَ عدیدة وهی:

الأُولی: التوحید فی الذات

الأُولی: التوحید فی الذات والمراد منه أنّه سبحانه واحد لا نظیر له، فرد لا مثیل له، و یدلّ علیه مضافاً إلی البراهین العقلیة قوله سبحانه: «لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَهُوَ السَّمِیعُ الْبَصیر» (الشوری/ ۱۱). وقوله سبحانه: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ یَلِدْ* وَلَمْ یُولَد* وَ لَمْ یَکُنْ لَه کُفواً أَحَد» (الاخلاص/ ۱- ۴). وقوله سبحانه: «هُوَ اللَّهُ الواحِدُ القَهّارُ» (الزمر/ ۴). وقوله سبحانه: «وَهُوَ الواحِدُ القَهّارُ» (الرعد/ ۱۶). إلی غیرها من الآیات الدالة علی أنّه واحد لا نظیر له، و لا مثیل ولا ثانٍ له و لا عدیل. الاسماء الثلاث، ص: ۲۷ وأمّا البراهین العقلیة فی هذا المجال و إبطال (الثنویة) و (التثلیث) فموکول إلی الکتب المدونة فی هذا المضمار. إنّ هناک معنی آخر للتوحید فی الذات وهو انّه سبحانه بسیط لا جزء له، فرد لیس بمرکب من أجزاء، و لعلّ قوله سبحانه: «فی سورة الإخلاص» «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد» یعنی هذا القسم من التوحید کما أنّ الآیة الأخیرة أعنی قوله: «وَ لَمْ یَکُنْ لَه کُفواً أَحَد» تهدف إلی معنی التوحید فی الذات بالمعنی الأوّل، وبهذا یندفع إشکال التکرار فیها.

الثانیة: التوحید فی الخالقیة

الثانیة: التوحید فی الخالقیة والمراد منه أنّه لیس فی صفحة الوجود خالق غیر اللَّه، ولا- فاعل سواه، و أنّ کلّ ما یوجد فی صفحة الوجود من فواعل و أسباب فإنّما هی غیر مستقلات فی التأثیرات و إنّما تؤثر بإذنه سبحانه وأمره، فجمیع الأسباب والمسببات مخلوقة للَّه بمعنی أنّها تنتهی إلیه. و یدل علی التوحید بهذا المعنی «قُلِ اللَّهُ خالِقُ کُلّ شَیْءٍ وَ هُوَ الْواحِدُ القَهّار» (الرعد/ ۱۶). و قوله سبحانه: «اللَّهُ خالِقُ کُلّ شَیءٍ وَهُوَ عَلی کلّ شیّءٍ وَکیل» (الزمر/ ۶۲). وقوله سبحانه: «ذلِکُمُ اللَّهُ ربّکُمْ خالِقُ کُلّ شَیْءٍ لا إِلهَ إِلّا هُوَ» (المؤمن/ ۶۲). «۱» الاسماء الثلاث، ص: ۲۸

الثالثة: التوحید فی الربوبیة و التدبیر

الثالثة: التوحید فی الربوبیة و التدبیر والمراد منه أنّ للکون مدبّراً و متصرفاً واحداً لا یشارکه فی التدبیر شیء فهو سبحانه المدبّر للعالم، و أنّ تدبیر الملائکة وسائر الأسباب إنّما هو بأمره سبحانه، و هذا علی خلاف ما ذهب إلیه أکثر المشرکین حیث کانوا یعتقدون بأنّ ما

يرتبط باللَّه سبحانه و تعالى هو الخلق والإيجاد و الإبداع و أمّا تدبير الأنواع و الكائنات الأرضية فقد فوّض إلى الأجرام السماوية والملائكة والجنّ و سائر الموجودات الروحية وغير ذلك ممّا تحكى عنه الأصنام المعبودة، و ليس للَّه سبحانه أىّ مدخلية فى أمر تدبير الكون و إرادته و تصريف شؤونه. إنّ القرآن الكريم ينص- بمنتهى الصراحة- على أنّ اللَّه هو المدبر للعالم و ينفى أىّ تدبير لغيره و إذا كان هناك مدبر سواه فإنّما هو جندى من جنوده، مأمور بالعمل بأمر منه سبحانه: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الّذى خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرض فى سِتَّةِ أَيّام ثُمَّ اسْتَوى علَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُالأَمْر ما مِنْ شَفِيعٍ إِلّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرون» (يونس/ ٣). وقال سبحانه: «اللَّهُ الّذى رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْرِعَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استوى علَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَكُلٌّ يَجْرى لأجلٍ مُسمًّى يُدبّرُ الأمرَ يُفَصّلُ الآياتِ لَعلّكُمْ بِلِقاءِ ربّكُمْ تُوقِنونَ» (الرعد/ ٢). فإذا كان هو المدبّر وحده فيكون معنى قوله سبحانه: «فالمدبّرات أمْراً» (النازعات/ ۵) و قوله سبحانه: «وَ هُوَ القاهِرُفَوقَ عِبادِهِ وَ يُرسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظةً» (الأنعام/ ۶۱)، إنّ هؤلاء مدبرات بأمره، و حفظة للإنسان و إرادته فلا ينافى ذلك انحصار التدبير باللَّه. الاسماء الثلاث، ص: ٢٩

الرابعة: التوحيد فى التشريع و التقنين

الرابعة: التوحيد فى التشريع و التقنين لا- شكّ أنّ حياة الإنسان الإجتماعية رهن قانون ينظم أحوال المجتمع البشرى و يقوده إلى الكمال و هو لا- يتحقّق إلّافى ظلّ قانون يحقّق السعادة الإنسانية، فبما أنّ خالق الإنسان أعرف بخصوصيات المخلوق و ما يصلحه و يفسده فهو أولى بالتشريع و التقنين بل هو المتعين له، قال سبحانه: «أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطيفُ الْخَبير» (الملك/ ١۴). إنّ القرآن الكريم لم يعترف بتشريع سوى تشريعه سبحانه، ولا بقانون سوى قانونه فهو، يرى اللَّه سبحانه هو المشرع المحيط الذى يحقّ له التقنين خاصة، وأمّا وظيفة غيره فهو تنفيذ القانون الإلهى. قال سبحانه: «إِنِ الْحُكْمُ إِلّااللَّهِ أَمَرَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّاإِيّاه» (يوسف/ ۴٠) والمراد من الحكم فى قوله: «إِنِ الْحُكْم» هو الحكم التشريعى بقرينة قوله «أَمَرَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّاإِيّاه ذلك الدِّينُ القيّمُ». وقال سبحانه: «أَفَحُكْم الْجاهِلِيةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوم يُوقِنونَ» (المائدة/ ۵٠). إنّ هذه الآية تقسم القوانين الحاكمة على البشر إلى قسمين: إلهى، وجاهلىّ، وبما أنّ ما كان من صقع الفكر البشرى ليس إلهياً فهو بالطبع يكون حكماً جاهلياً. وقال سبحانه: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ» (المائدة/ ۴۴). وقال سبحانه: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَل اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ» (المائدة/ ۴۵). و قال: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَل اللَّهُ فَأُولئكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» الاسماء الثلاث، ص: ٣٠ (المائدة/ ۴۷) فهذه المقاطع الثلاثة توضح أنّ التقنين أوّلًا و الحكم ثانياً حقّ مخصوص للَّه لم يفوضه إلى أحد من خلقه و لأجل ذلك يصف من يعدل عنه بالكفر تارة و الظلم أُخرى و بالفسق ثالثة. فهم كافرون لأنّهم يخالفون التشريع الإلهى بالردّ و الإنكار والجحود. وهم ظالمون لأنّهم يسلّمون حقّ التقنين الّذى هو خاصّ باللَّه إلى غيره. وهم فاسقون لأنّهم خرجوا بهذا العمل عن طاعة اللَّه. وأمّا عمل الفقهاء و المجتهدين فهو إمّا استخراج الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة و الاستخراج غير التشريع، وإمّا تخطيط لكلّ مايحتاج إليه المجتمع فى إطار القوانين الإلهية، و التخطيط غير التشريع.

الخامسة: التوحيد فى الطاعة

الخامسة: التوحيد فى الطاعة والمراد أنّه ليس هناك من تجب طاعته بالذات إلّااللَّه تعالى فهو وحده الّذى يجب أن يطاع و أمّا طاعة غيره فإنّما تجب بإذنه و أمره. قال سبحانه: «وما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ» (البيّنة/ ۵) و الدين فى الآية بمعنى الطاعة أى مخلصين الطاعة له لا لسواه. وعلى ذلك فكلّ من افترض اللَّه طاعته و الانقياد لأوامره و الانتهاء عن مناهيه فبإذنه سبحانه و أمره، قال سبحانه: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلّالِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» (النساء/ ۶۴). وبالجملة فهنا مطاع بالذات وهو اللَّهسبحانه وغيره مطاع بالعرض و بأمره.

السادسة: التوحيد فى الحاكمية

السادسة: التوحيد فى الحاكمية إنّ الحكومة حاجة طبيعية يتوقف عليها حفظ النظام بعد التشريع و الاسماء الثلاث، ص: ۳۱ التقنين. و وظيفة الحكومة تعريف أفراد المجتمع بواجباتهم ووظائفهم و مالهم و ما عليهم من حقوق، ثمّ تحقيقها و تجسيدها. إنّ أعمال الحكومة والحاكمية فى المجتمع لاتنفك عن التصرف فى النفوس و الأموال و تنظيم الحريّات و تحديدها أحياناً والتسلّط عليها ولا يقوم بذلك إلّا من كانت له الولاية على الناس و لولا ذلك لعُدّ التصرف عدواناً، وبما أنّ جميع الناس سواسيه أمام اللَّه و الكلّ مخلوق له بلا تمييز فلا ولاية لأحد على أحد بالذات بل الولاية للَّه المالك الحقيقى للإنسان والكون، والواهب له الوجود والحياة، فلا يصحّ لأحد الإمرة على العبادة إلّابإذنه. فالأنبياء والعلماء والمؤمنون مأذونون من قبله سبحانه فى أن يتولوا الأمر من قبله و يمارسوا الحكومة على الناس من ناحيته، فالحكومة حقّ مختصّ باللَّه سبحانه و الأمارة ممنوحة من قبله. قال سبحانه: «إِنِ الْحُكْمُ إِلّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَخَيْرُ الْفاصِلينَ» (الأنعام/ ۵۷). وقال سبحانه: «أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَأَسْرَعُ الْحاسِبينَ» (الأنعام/ ۶۲). نعم إنّ اختصاص حقّ الحاكمية باللَّه سبحانه ليس بمعنى قيامه شخصياً بممارسة الإمرة، بل المراد أنّ من قام بالإمرة فى المجتمع البشرى، يجب أن يكون مأذوناً من جانبه سبحانه لإدارة الأُمور، والتصرّف فى النفوس و الأموال. ولذلك نرى أنّه سبحانه: يمنح لبعض حقّ الحكومة بين الناس، إذ يقول: «يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَليفَةً فِى الأَرضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبيلِ اللَّهِ» (ص/ ۲۶) و على ضوء ذلك فلا محيص عن كون الحكومة فى المجتمع الإسلامى مأذوناً بها من قبل اللَّه سبحانه: ممضاة من جانبه، و إلّا كانت حكم الطاغوت، الذى شجبه القرآن فى أكثر من آية. الاسماء الثلاث، ص: ۳۲

السابعة: التوحيد فى العبادة

السابعة: التوحيد فى العبادة والمراد منه حصر العبادة فى اللَّه سبحانه، و هذا هو الأصل المتّفق عليه بين جميع المسلمين بلا أىّ اختلاف فيهم قديماً أو حديثاً فلا يكون الرجل مسلماً ولا داخلًا فى زمرة المسلمين إلّا إذا اعترف بحصر العبادة فى اللَّه، أخذاً بقوله سبحانه: «إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعين» (الفاتحة/ ۵) و ليس أصل بين المسلمين أبين و أظهر من هذا الأصل، فقد اتّفقوا على العنوان العام جميعهم و من تفوّه بجواز عبادة غيره فقد خرج عن حظيرة الإسلام. نعم وقع الاختلاف فى المصاديق والجزئيات لهذا العنوان، فهل هى عبادة غير اللَّه أو أنّها تكريم و احترام و إكبار وتبجيل. والهدف فى الفصل الآتى هو تمييز الجزئيات بعضها عن بعض، بوضع تعريف منطقى للعبادة حتى يقف القارئ على مصاديق العبادة ومصاديق التكريم عن كثب و لا يختلط بعضها بالبعض الآخر. إنّ الوهابيين جعلوا الشرك فى العبادة ذريعة لتكفير المسلمين و جعلهم فى عداد المشركين فى العبادة و هم ربما يتلون قوله سبحانه: «وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللَّهِ إِلّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (يوسف/ ۱۰۶) و يفسرونه بإيمان المسلمين، و لكن ما هو الدليل على هذا التطبيق. و لماذا لا ينطبق هذا عليهم. إنّ المسلم الواعى لا ينسب شيئاً إلى إنسان إلّاإذا كان مقروناً بالبرهان والدليل، معتمداً على قوله سبحانه: «قُلْ هاتُوا بُرهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ» (البقرة/ ۱۱۱)، فلا يتهم المسلم بالشرك إلّابالدليل، ولا يضفى عليه عنوان التوحيد إلّاكذلك. الاسماء الثلاث، ص: ۳۳

الفصل الثالث فى تحديد مفهوم العبادة

اشارة

الفصل الثالث فى تحديد مفهوم العبادة العبادة من الموضوعات التى تطرّق إليها الذكر الحكيم كثيراً. وقد حثَّ عليها فى أكثر من سورةٍ وآية وخصَّها باللَّه سبحانه و قال: «وَ قَضى رَبُّكَ أَلّاتَعْبُدُوا إِلّا إِيّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» (الإسراء/ ۲۳) و نهى عن عبادة غيره من

الأنداد المزعومة و الطواغيت والشياطين، وجعل اختصاص العبادة به الأصلَ الأصيل بين الشرائع السماوية و قال: «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلّااللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» (آل عمران/ ۶۴) كما جعلها الرسالة المشتركة بين الرسل فقال سبحانه: «وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ» (النحل/ ۳۶). فإذا كانت لهذا الموضوع تلك العناية الكبيرة فجدير بالباحث المسلم أن يتناوله بالبحث و التحقيق العلمي، حتى يتميّز هذا الموضوع عن غيره تميزاً منطقياً. والذى يُضفى على الدراسة، أهمية أكثر، هو أنّ التوحيد فى العبادة أحد مراتب التوحيد التى لا محيص للمسلم من تعلّمه، ثمّ عقد القلب عليه، و التحرر من أىّ لون من ألوان الشرك. فلا تُنال تلك الأُمنيةُ فى مجالى العقيدة و العمل إلّا الاسماء الثلاث، ص: ۳۴ بمعرفة الموضوع معرفة صحيحة، مدعمة بالدليل حتى لا يقع المسلم فى مغبّة الشرك، و عبادة غيره سبحانه. و رغم المكانة الرفيعة للموضوع لم نعثر على بحث جامع حول مفهوم العبادة يتكفّل بيان مفهومها، وحدّها الذى يُفصلها عن التكريم و التعظيم أو الخضوع والتذلل، و كأنّ السلف- رضوان اللّه عليهم- تلقّوها مفهوماً واضحاً، و اكتفوا فيها بما توحى إليهم فطرتُهم. ولو صحّ ذلك فإنّما يصحّ فى الأزمنة السالفة، دون اليوم الذى استفحل عند بعض الناس أمر إدّعاء الشرك فى العبادة، فيما درج عليه المسلمون منذ قرون إلى أن ينتهى إلى عصر التابعين والصحابة فأصبح- بادعائهم- كلّ تعظيم و تكريم للنبىّ، عبادة له، وكلّ خضوع أمام الرسول شرك، فلا يلتفت الزائر يميناً و شمالًا فى المسجد الحرام و المسجد النبوى إلّاو توقر سمعه كلمةُ «هذا شرك يا حاج»، وكأنّه ليس لديهم إلّا تلك اللفظة، أو لا يستطيعون تكريم ضيوف الرحمن إلّابذلك. فاللازم على هؤلاء- الذى يعدون مظاهر الحبّ والودّ، و التكريم و التعظيم شركاً و عبادة- وضعُ حدٍّ منطقىّ للعبادة، تُميَّز به، مصاديقُها عن غيرها حتى يتّخذه الوافدون من أقاصى العالم وأدانيه، ضابطة كلّية فى المشاهد و المواقف،، و لكن- و للأسف- لا تجد بحثاً حول مفهوم العبادة و تبيينها فى كتبهم و نشرياتهم و دورياتهم. فلأجل ذلك قمنا فى هذا الفصل، بمعالجة هذا الموضوع، بشرح مفهوم العبادة لغة و قرآناً، حيث بيّنا أنّ حقيقة العبادة فى تعاليم الأنبياء أخصّ ممّا ورد فى المعاجم و كتب اللّغة. الاسماء الثلاث، ص: ۳۵

العبادة فى المعاجم و التفاسير

العبادة فى المعاجم و التفاسير بالرغم من عناية اللغويين و المفسّرين بتفسير لفظ العبادة و تبيينها، لكن لا تجد فى كلماتهم ما يشفى الغليل، و ذلك لأنّهم فسّروه بأعمّ المعانى وأوسعها و ليس مرادفاً للعبادة طرداً و عكساً. ۱- قال الراغب فى المفردات: «العبودية: إظهار التذلّل، و العبادة أبلغ منها، لأنّها غاية التذلّل، ولا يستحقّها إلّامن له غاية الإفضال و هو اللّه تعالى و لهذا قال: «وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا إِيّاهُ ...» (الإسراء/ ۲۳)». ۲- قال ابن منظور فى لسان العرب: «أصل العبودية: الخضوع والتذلل». ۳- قال الفيروز آبادى فى القاموس المحيط: «العبادة: الطاعة». ۴- قال ابن فارس فى المقاييس: «العبد، الذى هو أصل العبادة، له أصلان متضادّان، والأوّل من ذينك الأصلين، يدلّ على لين و ذُلّ، و الآخر على شدّة وغلظه». هذه أقوال أصحاب المعاجم و لا تشذّ عنها أقوال أصحاب التفاسير وهم يفسّرونه بنفس ما فسّره به أهل اللغة، غير مكترثين بأنّ تفسيرهم، تفسير لها بالمعنى الأعم. ۱- قال الطبرى فى تفسير قوله: «إِيّاكَ نَعْبُدُ»: اللّهمّ لك نخشع و نذلّ و نستكين إقراراً لكَ يا ربّنا بالربوبية لا لغيرك. إنّ العبودية عند جميع العرب أصلها الذلّة و أنّها تسمّى الطريق المذلّل الذى قد وطئته الأقدام و ذلّلته السابلة معبَّداً، و من ذلك قيل للبعير المذلّل بالركوب للحوائج: معبَّد، و منه سمّى العبد عبداً، لذلّته لمولاه. «۱» الاسماء الثلاث، ص: ۳۶ ۲- قال الزجاج: معنى العبادة: الطاعة مع الخضوع، يقال: هذا طريق معبّد إذا كان مذلّلًا لكثرة الوطء، و بعير معبّد إذا كان مطلياً بالقطران، فمعنى «إِيّاكَ نَعْبُدُ»: إيّاك نطيع، الطاعة التى نخضع منها. «۱» ۳- و قال الزمخشرى: العبادة: أقصى غاية الخضوع و التذلّل، و منه ثوب ذو عبدة أى فى غاية الصفافة، وقوة النسج، و لذلك لم تستعمل إلّا فى الخضوع للّه تعالى لأنّه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع. «۲» ۴- قال البغوى: العبادة: الطاعة مع التذلل والخضوع و سمّى العبد عبداً لذلّته وانقياده يقال: طريق معبّد، أى مذلّل. «۳» ۵- قال ابن الجوزى: المراد بهذه العبادة ثلاثة أقوال: أ: بمعنى التوحيد

«إِيّاكَ نَعْبُدُ» عن علی و ابن عباس. ب: بمعنی الطاعة کقوله تعالی: «لا تَعْبُدِالشَّیْطانَ» (مریم/ ۴۴). ج: بمعنی الدعاء. «۴» ۶- قال البیضاوی: العبادة أقصی غایة الخضوع والتذلّل، و منه الطریق المعبّد أی المذلّل، و ثوب ذو عبدة، إذا کان فی غایة الصفاقة، و لذلک لاتستعمل إلّا فی الخضوع للّه تعالی. «۵» و سیأتی أنّ تفسیر العبادة بغایة الخضوع ربّما یکون تفسیراً بالأخص، إذ لاتشترط فی صدقها غایة الخضوع، و لذلک یعدُّ الخضوع المتعارف الذی یقوم به الاسماء الثلاث، ص: ۳۷ أبناء الدنیا أمام اللّه سبحانه عبادة، و إن لم یکن بصورة غایة التعظیم، و ربّما یکون تفسیراً بالأعمّ، فإنّ خضوع العاشق لمعشوقه ربّما یبلغ نهایته و لا یکون عبادة. ۷- و قال القرطبی: نعبُد، معناه نطیع، و العبادة: الطاعة والتذلّل، وطریق معبّد إذا کان مذلّلًا للسالکین. «۱» ۸- و قال الرازی: العبادة عبارة عن الفعل الذی یؤتی به لغرض تعظیم الغیر وهو مأخوذ من قولهم: طریق مُعبَّد. «۲» و إذا قصرنا النظر فی تفسیر العبادة، علی هذه التعاریف و قلنا بأنّها تعاریف تامّة جامعة للأفراد و مانعة للأغیار، لزم رَمی الأنبیاء و المرسلین، و الشهداء والصدیقین بالشرک وأنّهم- نستعیذ باللّه- لم یتخلّصوا من مصائد الشرک، و لزم ألّایصحّ تسجیل أحد من الناس فی قائمة الموحّدین. و ذلک لأنّ هذه التعاریف تفسّر العبادة بأنّها: ۱- إظهار التذلّل. ۲- إظهار الخضوع. ۳- الطاعة و الخشوع و الخضوع. ۴- أقصی غایة الخضوع. و لیس علی أدیم الأرض من لا یتذلّل أو لا یخشع ولا یخضع لغیر اللّه سبحانه و إلیک بیان ذلک: الاسماء الثلاث، ص: ۳۸

لیست العبادة نفس الخضوع أو نهایته

لیست العبادة نفس الخضوع أو نهایته إنّ الخضوع و التذلّل حتی إظهار نهایة التذلّل لا یساوی العبادة ولا یعدّ حدّاًمنطقیاً لها، بشهادة أنّ خضوع الولد أمام والده، و التلمیذ أمام أُستاذه، و الجندیُّ أمام قائده، لیس عبادة لهم و إن بالغوا فی الخضوع والتذلّل حتی و لو قبّل الولدُ قدمَ الوالدین، لایعد عمله عبادة، لأنّ اللّه سبحانه یقول: «وَاخْفِضْ لَهُما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» (الإسراء/ ۲۴). و أوضح دلیل علی أنّ الخضوع المطلق و إن بلغ النهایة لا یعدّعبادة هو أنّه سبحانه أمر الملائکة بالسجود لآدم وقال: «وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ» (البقرة/ ۳۴) و آدم کان مسجوداً له ککونه سبحانه مسجوداً له، مع أنّ الأوّل لمیکن عبادة و إلّا لم یأمر به سبحانه، إذ کیف یأمر بعبادة غیره و فی الوقت نفسه ینهی عنها بتاتاً فی جمیع الشرائع من لدن آدم علیه السلام إلی الخاتم صلی الله علیه و آله و سلم و لکن الثانی أی الخضوع للّه، عبادة. و اللّه سبحانه یصرّح فی أکثر من آیة بأنّ الدعوة إلی عبادة اللّه سبحانه و النهی عن عبادة غیره، کانت أصلًامشترکاً بین جمیع الأنبیاء، قال سبحانه: «وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِی کُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ» (النحل/ ۳۶) و قال سبحانه: «وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ إِلّانُوحِی إِلَیْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّاأَنَا فَاعْبُدُونِ» (الأنبیاء/ ۲۵) و فی موضع آخر من الکتاب یعد سبحانه التوحید فی العبادة: الأصل المشترک بین جمیع الشرائع السماویة، إذ یقول: «قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَةٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَبَیْنَکُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً» (آل عمران/ ۶۴)، و معه کیف یأمر بسجود الملائکة لآدم الذی هو من مصادیق الخضوع النهائی؟ وهذا الإشکال لایندفع إلّا بنفی کون مطلق الخضوع عبادة، ببیان أنّللعبادة مقوّماً آخر- کما سیوافیک- لمیکن موجوداً فی سجودالملائکة لآدم. الاسماء الثلاث، ص: ۳۹ و لم یکن آدم فحسب هو المسجود له بأمره سبحانه، بل یوسف الصدیق کان نظیره، فقد سجد له أبواه و إخوته، وتحقّق تأویل رؤیاه بنفس ذلک العمل، قال سبحانه حاکیاً عن لسان یوسف: «إِنِّی رَأَیْتُ أَحَدَ عَشَرَ کَوکَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَیْتُهُمْ لِی ساجِدِینَ» (یوسف/ ۴). کما یحکی تحقّقه بقوله سبحانه: «وَ رَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَی الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَ قالَ یا أَبَتِ هذا تَأْوِیلُ رُؤْیایَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّی حَقّاً» (یوسف/ ۱۰۰) و معه کیف یصحّ تفسیر العبادة بالخضوع أو نهایته. إنّه سبحانه أمر جمیع المسلمین بالطواف بالبیت، الذی لیس هو إلّاحجراً و طیناً، کما أمر بالسعی بین الصفا والمروة، قال سبحانه: «وَ لْیَطَّوَّفُوا بِالْبَیْتِ الْعَتِیقِ» (الحج/ ۲۹) و قال سبحانه: «إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَیْتَ أَوِ اعْتَمَرَفَلا جُناحَ عَلَیْهِ أَنْ یَطَّوَّفَ بِهِما» (البقرة/ ۱۵۸). فهل تری أنّ الطواف حول التراب والجبال والحجر عبادة لهذه الأشیاء بحجّة أنّه خضوع لها؟! إنّ شعار المسلم الواقعی هو التذلّل للمؤمن و التعزّز علی الکافر، قال سبحانه: «فَسَوْفَ یَأْتِی اللَّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّةٍ عَلَی الکافِرِینَ»

(المائدة/ ۵۴). فمجموع هذه الآيات و جميع مناسك الحجّ، يدلّان بوضوح على أنّ مطلق الخضوع والتذلّل ليس عبادة. و إذا فسّرها أئمة اللغة بالخضوع و التذلّل، فقد فسّروها بالمعنى الأوسع، فلا محيص حينئذٍ عن القول بأنّ العبادة ليست إلّانوعاً خاصاً من الخضوع. و إن سُمّيت فى بعض الموارد مطلق الخضوع عبادة، فإنّما سُمّيت من باب المبالغة و المجاز، يقول سبحانه: «أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا» (الفرقان/ ۴۳) فكما أنّ إطلاق اسم الإله على الهوى مجاز فكذا تسمية متابعة الهوى عبادة له، ضرب من المجاز. الاسماء الثلاث، ص: ۴۰ و من ذلك يعلم مفاد قوله سبحانه: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بنى آدَمَ أَنْ لاتَعْبُدُوا الشَّيطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَأَنِ اعْبُدُونى هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» (يس/ ۶۰- ۶۱). فإنّ مَنْ يتّبع قولَ الشّيطان فيتساهل فى الصلاة والصيام، و يترك الفرائض أو يشرب الخمر و يرتكب الزنا، فإنّه بعمله هذا يقترف المعاصى لا أنّه يعبده كعبادة اللّه، أو كعبادة المشركين للأصنام و لأجل ذلك، لايكون مشركاً محكوماً عليه بأحكام الشرك، و خارجاً عن عداد المسلمين، مع أنّه من عبدة الشيطان لكن بالمعنى الوسيع للعبادة الأعمّ من الحقيقى و المجازىّ. و ربما يتوسع فى إطلاق العبادة فتستعمل فى مطلق الإصغاء لكلام الغير، وفى الحديث: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدى عن اللّه عزّوجلّ فقدعبد اللّه، و إن كان الناطق يؤدى عن الشيطان فقد عبد الشيطان». «۱»

توجيه غير سديد

اشارة

توجيه غير سديد إنّ بعض من يفسّر العبادة بالخضوع و التذلّل عند مايقف أمام هذه الدلائل الوافرة، يحاول أن يجيب و يقول: إنّ سجود الملائكة لآدم أو سجود يعقوب و أبنائه ليوسف، لم يكن عبادة له و لا ليوسف، لأنّ ذلك كان بأمر اللّه سبحانه و لولا أمره لانقلب عملهم عبادة لهما. و هذا التوجيه بمعزِل عن التحقيق، لأنّ معنى ذلك أنّ أمر اللّه يُغيّر الموضوع، و يبدل واقعه إلى غير ما كان عليه، مع أنّ الحكم لا يغيِّر الموضوع. فإذا افترضنا أنّه سبحانه أمر بسبِّ المشرك و المنافق، فأمره سبحانه لا يخرج السبَّ عن كونه سباً، إذن لو كان مطلقُ الخضوع المتجلّى فى صورة السجود لآدم، أو ليوسف، عبادة لكان معنى ذلك أنّه سبحانه أمر بعبادة غيره، مع أنّها فحشاء الاسماء الثلاث، ص: ۴۱ بتصريح الذكر الحكيم ولا يأمر بها سبحانه، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» (الأعراف/ ۲۸). وهناك تعاريف للعبادة لجملة من المحقّقين نأتى بها واحداً بعد الآخر:

۱- نظرية صاحب المنار فى تفسير العبادة

اشارة

۱- نظرية صاحب المنار فى تفسير العبادة إنّ صاحب المنار لمّا وقف على بعض ما ذكرناه حاولَ أن يُفسّر العبادة بشكل لايرد عليه الإشكال، ولذلك أخذ فى التعريف قيوداً ثلاثة: أ: العبادة ضرب من الخضوع بالِغٌ حدّ النهاية. ب: ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود، لا يعرف منشأها. ج: واعتقادٍ بسلطة لا يُدرَك كنهُها و ماهيتها.

ويلاحظ على هذا التعريف:

ويلاحظ على هذا التعريف: أوّلًا: أنّ التعريف غير جامع، و ذلك لأنّه إذا كان مقوِّم العبادة، الخضوعَ البالغَ حدّالنهاية فلا يشمل العبادة الفاقدة للخشوع والخضوع التى يؤديها أكثر المتساهلين فى أمر الصلاة، و ربما يكون خضوع الجندى لقائده أشدّ من خضوع هؤلاء المتساهلين الذين يتصوّرون الصلاة عباً و جهداً. و ثانياً: ماذا يريد بقوله «عن استشعار القلب عظمة المعبود لا يعرف منشأها»؟ فهل

يعتقد أنّ الأنبياء كانوا يستشعرون عظمة المعبود ولكن لا يعرفون منشأها. مع أنّ غيرهم يستشعر عظمة المعبود و يعرف منشأها، وهو أنّه سبحانه: الخالق البارئ، المصوّر، أو أنّه سبحانه هو الملك القدّوس، السّلام، المؤمن، المهيمن العزيز الجبّار المتكبر. و ثالثاً: ماذا يريد بقوله: «و اعتقادٍ بسلطة لا يدرك كنهها و ماهيتها»؟. فإن أراد شرطية هذا الاعتقاد فى تحقّق العبادة، فلازم ذلك عدم صدقها على الاسماء الثلاث، ص: ۴۲ عبادة الأصنام والأوثان، فإنّ عُبّاد الأوثان يعبدونها و كانوا يعتقدون بكونهم شفعاء عند اللّه سبحانه فقط لا أنّ لهم سلطة لا يدرك كنهُها وماهيتُها.

۲- نظرية الشيخ شلتوت، زعيم الأزهر

۲- نظرية الشيخ شلتوت، زعيم الأزهر وقد عرّف شيخ الأزهر الأسبق العبادة بنفس ما عرّفها به صاحب المنار، و لكنّه يختلف عنه لفظاًو يتّحد معه معنًى، فقال: العبادة خضوع لا يحدُّ، لعظمة لا تحد. «۱» وهذا التعريف يشترك مع سابقه نقداً و إشكالًا، و ذلك أنّ العبادة ليست منحصرة فى «خضوع لا- يحدّ» بل الخضوع المحدود أيضاً ربّما يعد عبادة، كما إذا كان الخضوع بأقلّ مراتبه. و كذلك لا يشترط كون الخضوع لعظمة لا- تحدّ، إذ ربما تكون عظمة المعبود محدودة فى زعم العابد كما هو الحال فى عبادة الأصنام، و مع ذلك يعبدها و كان الدافع إلى عبادتها كونها شفعاء عند اللّه.

۳- تعريف ابن تيمية

۳- تعريف ابن تيمية و أكثر التعاريف عرضة للإشكال هو تعريف ابن تيمية إذ قال: «العبادة اسم جامع لكلّ ما يحبّه اللّه و يرضاه من الأقوال والأعمال الباطنية والظاهرية كالصلاة والزكاة والصيام، والحجّ، و صدق الحديث و أداء الأمانة، و برّالوالدين و صلة الأرحام». «۲» وهذا الكاتب لم يفرّق- فى الحقيقة- بين العبادة و التقرّب، و تصوّر أنّ كلّ عمل يوجب القربى إلى اللّه، فهو عبادة له تعالى أيضاً، فى حين أنّ الأمر ليس كذلك، فهناك أُمور توجب رضا اللّه، و تستوجب ثوابَه لكنّها قد تكون عبادة الاسماء الثلاث، ص: ۴۳ كالصوم و الصلاة والحجّ، و قد تكون موجبة للقرب إليه دون أن تعدّ عبادة، كالإحسان إلى الوالدين، و إعطاء الزكاة، و الخمس، فكلّ هذه الأُمور (الأخيرة) توجب القربى إلى اللّه فى حين لا تكون عبادة. و إن سمّيت فى مصطلح أهل الحديث عبادة، فيراد منها كونها نظير العبادة فى ترتّب الثواب عليها او شرطيّة قصد القربة فى صحّتها. و بعبارة أُخرى: إنّ الإتيان بهذه الأعمال يعدّطاعة للّه و لكن ليس كلُّ طاعة عبادة. وإن شئت قلت: إنّ هناك أُموراً عباديّة و أُموراً قربية، و كلّ عبادة مقرّبة، و ليس كلّ مقرّب عبادة، فدعوة الفقير إلى الطعام، و العطف على اليتيم- مثلًا- توجب القرب و لكنّها ليست عبادة بمعنى أن يكون الآتى بها عابداًبعمله للّهتعالى. و إذا وقفت على قصور هذه التعاريف هنا نذكر فى المقام تعريفين، كلّ يلازم الآخر.

التعريف الصحيح:

التعريف الصحيح: العبادة هى الخضوع للشى بما هو إله أو: العبادة هى الخضوع للشىء بما هو ربّ إنّ لفظ العبادة من المفاهيم الواضحة، و ربّما يكون ظهور معناها الواضح مانعاً عن التحديد الدقيق لها غير أنّه يمكن تحديدها من خلال الإمعان فى الموارد التى تستعمل فيها تلك اللفظة، فقد استعملها القرآن فى مورد الموحّدين و المشركين، وقال سبحانه فى الدعوة إلى عبادة نفسه: «وَلكِنْ أَعبدُ اللَّهَ الّذى يَتَوفّاكُمْ» (يونس/ ۱۰۴) وقال سبحانه: «قُلْ إِنّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الاسماء الثلاث، ص: ۴۴ الدِّينَ» (الزمر/ ۱۱). وقال فى النهى عن عبادة غيره: «إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً» (العنكبوت/ ۱۷) وقال: «أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ» (الصافّات/ ۹۵): فعلى الباحث أن يقتنصَ معنى العبادة بالدقة من أفعال العباد، و عقائدهم من غير فرق بين عبادة الموحّدين و عبادة المشركين فيجعله حدّاً منطقياً للعبادة. إنّ الإمعان فى ذلك المجال يدفعنا إلى القول بأنّ العبادة عندهم عبارة عن الفعل الدالّ على

الخضوع المقترن مع عقيدة خاصة فى حقّ المخضوع له، فالعنصر المقوّم للعبادة حينئذٍ أمران:

۱- الفعل او القول المنبئ عن الخضوع و التذلّل.

۱- الفعل او القول المنبئ عن الخضوع و التذلّل. ۲- العقيدة الخاصة التى تدفعه إلى عبادة المخضوع له. أمّا الفعل، فلا يتجاوز عن قول أو عمل دالّ على الخضوع والتذلّل بأىّ مرتبة من مراتبه، كالتكلّم بكلام يؤدى إلى الخضوع له أوبعمل خارجى كالركوع و السجود بل الانحناء بالرأس، أو غير ذلك ممّا يدلّ على ذلّته و خضوعه أمام موجود. وأمّا العقيدة التى تدفعه إلى الخضوع و التذلّل فهى عبارة عن: ۱- الاعتقاد بأُلوهيته. ۲- الاعتقاد بربوبيته. «۱» او مايعادلهما و تعلّم صحة التعريفين من دراسة عقيدة المشركين فى أصنامهم و أوثانهم. الاسماء الثلاث، ص: ۴۵

عقيدة المشركين فى آلهتهم

عقيدة المشركين فى آلهتهم إنّ الذى يسبر حياةَ المشركين يقف بوضوح على انّهم معتقدين بأُلوهية معبوداتهم و ربوبيتها بشكل واضح و على القارئ الكريم أن يستشفه عن كثب وما هو إلّا حكم التاريخ أوّلًا، و حكم القرآن ثانياً، و نحن نذكر شيئاًيسيراً منهما:

حكم التاريخ فى عقيدة المشركين

حكم التاريخ فى عقيدة المشركين إنّ المشركين العرب و إن كانوا لا يعاونون من أىّ انحراف و إشكال فى مسألة التوحيد فى الخالقية و كانوا يعتقدون أنّه سبحانه هو الخالق وحده و أنّه لاخالق سواه و قد نقله سبحانه عنهم فى غير واحد من الآيات: قال تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزيز الْعَليمُ» (الزخرف/ ۹) إلّا أنّهم كانوا فى مسألة التدبير الّتى نعبر عنها بالربوبيّة على طرف النقيض من الحق و على خلاف الصواب، فكانوا يعتقدون بأرباب مكان الربّ الواحد، و لكلّ ربٍّ شأن فى عالم الكون. و ما اشتهر بين الناس من أنّ المشركين يعتبرون الأصنام مجرّد شفعاء عند اللّه لا أكثر تصوّر خاطئ، بل كانوا يعتقدون أنّ لها وراء هذا، شأناً أوشؤونا. ولأجل هذه المكانة لها كانوا يعبدونها و يستشفعون بها، وإليك شواهد على ذلك: لقد دخلت الوثنية فى مكة و ضواحيها أوّل ما دخلت فى صورة «الشرك فى الربوبية» فقصة «عمرو بن لُحىّ» الخُزاعى دليل على أنّ أهل الشام كانوا يعتبرون الأوثان و الأصنام مدبرة لجوانب من الكون. يكتب ابن هشام فى هذا الصدد فيقول: كان «عمرو بن لُحىّ» أوّل من أدخل الوثنية إلى مكة و ضواحيها فقد رأى فى الاسماء الثلاث، ص: ۴۶ سفره إلى البلقاء من بقاع الشام أُناساً يعبدون الأوثانَ و عند ما سألهم عمّا يفعلون قائلًا: ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدونها؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتُمطرنا، و نستنصرها فَتَنصُرنا، فقال لهم: أفلا تعطوننى منها فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه. وهكذا استحسن طريقتَهم و استصحب معه إلى مكّة صنماً كبيراًاسمه هُبل و وضعه على سطح الكعبة المشرّفة ودعا الناس إلى عبادته. «۱» فاستمطار المطر من هذه الأصنام و الاستنصار بها يكشف عن عقيدتهم فيها و أنّ لها مدخلية فى تدبير شؤون الكون و حياة الإنسان. يقول هشام بن محمد بن السائب الكلبى: مرض لُحىّ بن حارث بن عامر الأزدى و هو أبو خزاعة فقيل له: إنّ بالبلقاء من الشام حَمَّة «۲» إن أتيتَها بُرِئتَ فأتاها فاستحمّ بها فبَرئ بها فوجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها، ففعلوا فقدم بها إلى مكة و نصبها حول الكعبة. «۳» وقال السيّد الآلوسى: وكانت لقريش أصنام فى جوف الكعبة و كانت أعظمها هبل عندهم و كان- فيما بلغنى- من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك، فجعلوا له يداًمن الذهب وكان أوّل من نصبه خزيمة بن مدركة و كان يقال له هبل خزيمة ... إلى أن قال: فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ... الخ. و يقول أيضاً: وكان لمالك و مِلْكان ابنى كنانة، بساحل جدّة صنم يقال له الاسماء الثلاث، ص: ۴۷ سعد، وكان صخرة طويلة فأقبل رجل من بنى مِلْكان بإبلٍ له مؤبلة ليقفها عليه ابتغاء بركته،

فلما أدناها منه و رأته و كان يُهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كلّ وجه فغضب ربّها فتناول حجراً فرماه به فقال: لا بارك اللّه فيك إلهاً أنفرْتَ إبلى ثمّ خرج فى طلب الإبل حتى جمعها ثمّ انصرف يقول: أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فما نحن من سعد و هل سعدُ إلّاصخرة بتنوفة «۱» من الأرض لايدعى لغىّ ولا رشد «۲» هذا شأن عبدة الأصنام وأمّا شأن عبّاد الأجرام العلوية فحدّث عنهم ولا حرج، فقد كانوا يعتقدون فيها ربوبية وتدبيراً للعوالم السفلية، و لم تكن مناظرة إبراهيم عليه السلام لهؤلاء إلّا لأنّهم كانوا يعتقدون بربوبية الكواكب والقمر والشمس، و لأجل ذلك يصف إبراهيم آلهتهم بالربوبية مجاراة لهم حتى يقضى على تلك الفكرة ببرهان قاطع، يقول: «فَلَمّا جَنَّ عَلَيهِ اللّيلُ رَأى كَوكباً قالَ هذا رَبِّى فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلينَ» (الأنعام/ ۷۶) وقد كرر لفظ الربّ أيضاً عند مواجهته للقمر والشمس. يقول الآلوسى عند البحث عن عبادة الشمس: زعموا أنّها ملك من الملائكة لها نفس وعقل و هى أصل نور القمر و الكواكب وتكوّن الموجودات السفلية كلّها عندهم منها و هى عندهم ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والدعاء. ومن شريعتهم فى عبادتها انّهم اتّخذوا لها، صنماً بيده جوهر على لون النار، و له بيت خاص قد بنوه باسمه و جعلوا له الوقوف الكثيرة فى القرى والضياع، وله سدنة و قوّام و حَجبة يأتون البيت و الاسماء الثلاث، ص: ۴۸ يصلون فيه لها ثلاث كرات فى اليوم، و يأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم و يصلون و يدعونه و يستشفعون به. «۱» نعم إنّ الشؤون التى كانوا يعتقدونها لآلهتهم كانت متنوعة و أقلّها شأناً انّها تملك الشفاعة، و قد فوض إليها أمرها لتشفع لمن شاءت و تقبل شفاعتها عند اللّه بلا قيد و لا شرط. قد وقفت على قضاء التاريخ فى عقيدة المشركين و أنّهم ما انفكّوا فى حياتهم عن الاعتقاد بأُلوهية معبوداتهم و ربوبيتها، و إليك دراسة حكم القرآن فى عقيدة المشركين من غير فرق بين عبّاد الأجرام السماوية أو الأرضية وحتى المشركين من أهل الكتاب الذين يعدّهم القرآن مشركين أيضاً.

قضاء الكتاب فى عقيدة المشركين

قضاء الكتاب فى عقيدة المشركين ۱- إنّ الذكر الحكيم يصف المشركين بأنّهم قاطبة جعلوا للّه أنداداً فلذلك عبدوا غير اللّه، والمراد من جعلهم أنداداً للّه هو إشراكهم مع اللّه فى شأن ممّا يرجع إلى اللّه سبحانه: و يختص به سواء أكان تدبيراًللكون و الحياة أم مغفرة للذنوب، أو مالكيتهم للشفاعة. يقول سبحانه: «فَلا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة/ ۲۲). وقال سبحانه: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُ كَحُبِّ اللّهِ» (البقرة/ ۱۶۵). وقال سبحانه: «وَجَعَلُوا للّه أنداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصيرَكُمْ إِلَى النّارِ» (إبراهيم/ ۳۰). وقال سبحانه: «إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنداداً» (سبأ/ ۳۳). الاسماء الثلاث، ص: ۴۹ وقال سبحانه: «وَ إِذا مَسَّ الإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ للّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْهُ سَبيلِهِ» (الزمر/ ۸). وقال سبحانه: «قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرونَ بِالّذى خَلَقَ الأَرْضَ فى يَومَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمينَ». (فصلت/ ۹). *** ۲- يحكى سبحانه عن المشركين انّهم يعترفون فى يوم القيامة بانّهم كانوا يسوُّون بين اللّه وآلهتهم. قال سبحانه: حاكياً عن لسان المشركين يوم القيامة: «تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِى ضَلالٍ مُبينٍ* إِذْنُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمينَ» (الشعراء/ ۹۷- ۹۸). فهذه الآيات- التى تحكى عقيدة المشركين و هى أنّهم جعلوا للّه سبحانه تعالى نداً بل أنداداً و أنّهم كانون يسوّون آلهتهم بربّ العالمين- تكشف الغطاء عن وجه الحقيقة، وهو انّ الأصنام بزعمهم كانت مؤثرة فى الكون و لو فى قسم منه، مؤثرة فى مصير عبادها، و لذلك سميت الآلهة أرباباً، أى مالكين لأزمّة الأُمور و مصير حياة العابد و إن كان فوق هذه الأرباب ربّ العالمين. *** ۳- و هناك مجموعة من الآيات تحكى عن مناظرة إبراهيم لمشركى عصره من عبدة الأجرام السماوية يقول سبحانه: «وَ إِذْقالَ إِبْراهيمُ لأَبيهِ آزَرَأَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلهةً إِنّى أَراكَ وَقَومَكَ فى ضَلالٍ مُبينٍ». ثم إنّه سبحانه يسرد مناظرته معهم بشكل بديع و يذكر أنّ بطل التوحيد حاجّهم بالنحو التالى: «فَلَمّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيْلُ رَأى كَوكَباً قالَ هذا رَبِّى فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُ الاسماء الثلاث، ص: ۵۰ الآفِلينَ* فَلَمّا رَءَا الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبّى فَلَمّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَومِ الضّالّينَ* فَلَمّا رَءَا الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّى هذا أَكْبَرُ فَلَمّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّى بَرىءٌ مِمّا

تُشْرِكُونَ* إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الأرْضَ حَنیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکینَ» (الأنعام/ ۷۴- ۷۹). نری أنّ إبراهیم یرکز علی کلمهٔ «ربّی» و یعترف مجاراهٔ للقوم بربوبیهٔ الأجرام السماویّهٔ، و لم یزل یُظهر لهم أنّه علی هذا الاعتقاد قبل أُفولها، ثمّ یعود و یبطل ربوبیتها بأُفولها. فماذا کان المشرکون یقصدون من الاعتقاد بربوبیهٔ الأجرام السماویهٔ؟! وماذا أراد بطل التوحید حسب الظاهر من الاقرار بربوبیتها؟! ألیس الربّ بمعنی الصاحب، ألیس سیاسهٔ المربوب و تدبیر حیاته بید الربّ فهل یمکن أن یعبد هؤلاء هذه الأجرام من دون اعتقاد بتأثیرهم علی حیاتهم و مسیرتهم. کلّ ذلک یعرب عن کیفیهٔ عقیدهٔ المشرکین بالنسبهٔ إلی آلهتهم و أربابهم، وإنّما جرّتهم إلی عبادتها لاعتقادهم الخاص بها. *** ۴- إنّه سبحانه: «یصف الیهود والنصاری بأنّهم اتخذوا أحبارهم و رُهبانهم أرباباً. قال سبحانه: «اتَّخذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسیحَ ابْنَ مَرْیَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلّا لِیَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمّا یُشْرِکُونَ» (التوبهٔ/ ۳۱). و لیس المراد أنّهم اعتقدوا بأنّ علماء دینهم و رهبانهم خالقون أو مدبرون للکون بل کانوا یعتقدون أنّ لهم شأناً من شؤونه سبحانه: وهو أنّ لهم تحلیل الحرام و تحریمه و انّه فوض إلیهم زمام التشریع و بالتالی مصیرهم بأیدیهم و یکفی ذلک فی صدق الربوبیهٔ. الاسماء الثلاث، ص: ۵۱ روی المفسرون عن عدی بن حاتم قال: أتیت رسول اللَّه و فی عنقی صلیب من ذهب فقال لی: یا عدی إطرح هذا الوثنَ فی عنقک قال: فطرحته ثم انتهیتُ إلیه و هو یقرأ من سورهٔ البراءهٔ هذه الآیهٔ «اتَّخذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً» حتّی فرغ منها فقلت له: إنّا لسنا نعبدهم فقال: أَلیس یحرِّمون ما أحل اللَّه فتحرّمونه، ویُحلّون ما حرّم اللَّه فتستحلونه؟ قال: فقلت: بلی قال: فتلک عبادتهم. «۱» هذا قلیل من کثیر ممّا یعرب عن عقیدهٔ المشرکین القدامی والجدد فی حقّ معبوداتهم. ونختم المقال بشیء من شعر زید بن عمر بن نوفل الذی أسلم قبل أن یبعث النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم إذ یقول بعد استبصاره معرباً عن عقیدته فی الجاهلیهٔ: أرب واحد أم ألف رب أدین إذا تقسّمت الأُمور عزلتُ اللاهٔ والعُزی جمیعاً کذلک یفصل الجلد الصبور فلا- عُزّی أدین ولا- ابنتیها ولا صنَمَی بنی عمرو أزور و یقول فی شعر آخر: إلی الملک الأعلی الذی لیس فوقه إله و لا ربّ یکون مداینا «۲» هذه الأشعار و سائر الکلمات المرویهٔ عن الأمّهٔ الجاهلیهٔ قبل مبعث النبی صلی الله علیه و آله و سلم تثبت أمراً واحداً وهو أنّ آلهتهم کانت تتمتع حسب عقیدتهم بقوهٔ غیبهٔ مالکهٔ لها مؤثرهٔ فی الکون و مصیر الإنسان و انّ هؤلاء آلههٔ و أرباب واللَّه سبحانه إله الآلههٔ و ربّ الأرباب. الاسماء الثلاث، ص: ۵۲

التعریف المنطقی لمفهوم العبادهٔ

اشارهٔ

التعریف المنطقی لمفهوم العبادهٔ المقصود من التعریف المنطقی، هو التعریف الجامع الشامل لجمیع أفراد العبادهٔ سواء کانت حقّهٔ أو باطلهٔ، صحیحهٔ أو فاسدهٔ، و- التعریف- المانع عن دخول غیرها، ممّا لیس من مصادیقها و جزئیاتها، و إن کانت شبیههٔ بها فی الظاهر، ولکنّها فی الواقع تکریم و تبجیل ویتوهمها الجاهل عبادهٔ. و بما أنّا لم نقف علی تعریف للعبادهٔ، فی الکتاب و السنّهٔ، لا محیص لنا عن اصطیاده عن طریق تحلیلها فی ضوء المصدرین الکریمین فانّ دراستها کذلک یُشرِف الباحثَ علی تمییز العبادهٔ عن غیرها و بالتالی علی صبّ ما استفاده منهما فی قالب تعریف جامع و مانع. أقول: العبادهٔ تتقوم بعنصرین ولا یُغنی أحدهما عن الآخر: الأوّل: الاعتقادُ الخاص فی حقّ المعبود، أعنی الاعتقادَ بأنّه إله أو ربّ، أو بیده مصیر العابد آجلًا وعاجلًا فی تمام شؤون الحیاهٔ أو بعضها، وقد تعرّفتَ علی معنی «الإله» و «الرب» فی الفصلین السابقین فلا نعود إلی ما ذکرنا سابقاً، فإذا کان الخضوع و التذلل، مجرّداً عن هذا النوع من الاعتقاد لایعدّ العمل عبادهٔ سواء أکان باللسان، أم بسائر الجوارح، نعم یمکن أن یکون حراماً موجباً للعقاب لا لأنّه عبادهٔ بل لکونه عملًا محرماً کسائر المحرّمات الّتی لیست بعبادهٔ قطعاً کالکذب و الغیبهٔ. الثانی: العمل الحاکی عن الخضوع، و یکفی فی ذلک أبسط الخضوع إلی أعلاه سواء أکان باللفظ والبیان، أم بسائر الجوارح، فإذا کان الخضوع نابعاً عن الاعتقاد الخاص فی مورد المخضوع له،

يتصف بالعبادة. إنّ الاعتقاد بألوهية المخضوع له، أو ربوبيته، أو كون مصير العباد بيده، الاسماء الثلاث، ص: ۵۳ مجرّداً عن الخضوع العملى أو اللفظى، يستلزم كونَ صاحبه مشركاً فى العقيدة لا مشركاً فى العبادة، و إنّما يكون مشركاً فيها إذا انضمّ إلى العقيدة، خضوع عملى كما أنّ مجرّدَ الخضوع النابع عن الحب و العطف، يكون تكريماً و تبجيلًا، و خضوعاً و تذلّلًا لا عبادة، و ربما يكون حلالًا و مباحاً و يعدّ مَظْهَراً للتكريم و سبباً لإظهار الحبّ و الودّ، و ربما يكون حراماً كالسجود للمحبوب بما أنّه جميل، لا لأنّه إله و ربّ أو بيده مصيره، و مع ذلك فالسجود لمثله حرام حسب ما ورد فى السنّة و إن لميكن عبادة و كونه مثلها فى الصورة لا يُدخله فى عنوانها لأنّ العبرة بالنيّات و البواطن، لا بالصور و الظواهر. أمّا العنصر الثانى: فلم يختلف فى لزوم وجوده اثنان إنّما الكلام فى مدخلية العنصر الأوّل فى صدق العبادة و دخوله فى واقعها و نحن نستدل على مدخليته بطريقين:

الأوّل: التمعن فى عبادة الموحّدين و المشركين

الأوّل: التمعن فى عبادة الموحّدين و المشركين إنّ الإمعان فى أعمالهم، يدلُّ بوضوح على أنّ خضوعهم جميعاً لم يكن منفكاً عن الاعتقاد بألوهية معبوداتهم و ربوبيتها و كانت تلك العقيدة هى التى تَجرُّهم إلى الخضوع و التذلل أمامها ولولاها لم يكن لخضوعهم وجه ولا سبب فالموحِّد يخضع أمام اللَّه لاعتقاده بأنّه خالق، بارئ، مبدع، و مصور، مدبّر، و متصرّف، و بكلمة جامعة: إنّه إله العالمين إلى غير ذلك من الشؤون، فمن هذا الاعتقاد، ينشأ الخضوع و التذلل. والمشرك يخضع أمام الأصنام والأوثان، أو الأجرام السماوية، لاعتقاده بأنّها آلهة و أرباب بيدها مصيره فى الدنيا و الآخرة و لذلك كانوا يستمطرون بها، ويطلبون منها الشفاعة والمغفرة و بذلك صاروا آلهة و أرباباً. إنّ الموحّد يرى أنّ العزّة بيد اللَّه سبحانه و هو القائل عزّ من قائل: «فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَميعاً» (فاطر/ ۱۰) «وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ» (آل عمران/ ۲۶) الاسماء الثلاث، ص: ۵۴ ولكن المشرك يرى أنّ العزة بيد الأصنام والأوثان يقول سبحانه حاكياً عن عقيدته: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً» (مريم/ ۸۱). إنّ الموحّد لا يُثبت شيئاًمن صفاته سبحانه، و أفعاله، لغيره ولا يرى له مثيلًا و لا نظيراًفى الصفات والأفعال فهو المتفرّد فى جماله و كماله، وفى أسمائه و صفاته، وفى أعماله و أفعاله، و لكن المشرك يسوى الأصنام بربّ العالمين إذ يقول سبحانه حاكياً عنهم: «تَاللَّهِ إِنْ كُنّا لَفِى ضَلالٍ مُبين* إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمين» (الشعراء/ ۹۷- ۹۸) و إذا لم تكن التسوية متحقّقة فى تمام الشؤون فقد كانت متحقّقة فى بعضها فقد كانوا عندهم مالكين للشفاعة النافذة التى لا تردّ، و لغفران الذنوب، فلأجل ذلك تُركّز الآيات على أنّ الشفاعة للَّه و المغفرة بيده، يقول سبحانه: «قُلْ للَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً» (الزمر/ ۴۴) و يقول: «وَ مَنْ يَغْفِرُالذُّنُوبَ إِلّا اللَّه» (آل عمران/ ۱۳۵) إنّ النبىّ إبراهيم يصف ربّه بقوله: «الّذى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالّذى يُطْعِمُنِى وَ يَسْقِينِ* وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالّذى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالّذى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لى خَطِيئَتى يَومَ الدّينِ» (الشعراء/ ۷۸- ۸۲) و هو فى هذا المقام يحاول ردّ عقيدة المشركين حيث كانوا يثبتون بعضَ هذه الأفعال لمايعبدون من الأجرام السماوية والأرضية. وحصيلة الكلام أنّ التاريخ القطعى وآيات الذكر الحكيم متّفقان على أنّ خضوع المشركين لم يكن مجرّدَ عمل دون أن يكون نابعاً من الاعتقاد الخاصّ فى حقّ معبوداتهم و لم تكن عقيدتهم سوى إثبات ما لربّ العالمين من الشؤون، كلّها أو بعضها لهم، و لأجل ذلك كانوا يتذلّلون أمامهم. هذه هى الطريقة الأُولى لاستكشاف مدخلية العنصر الأوّل فى صدق العبادة و قد وقفنا عليها من طريق الامعان فى عبادة الموحدين و المشركين و إليك الكلام فى الطريقة الثانية. الاسماء الثلاث، ص: ۵۵

الثانية: الإمعان فى الآيات الداعية إلى عبادة اللَّه، الناهية عن عبادة الغير

الثانية: الإمعان فى الآيات الداعية إلى عبادة اللَّه، الناهية عن عبادة الغير إنّ الآيات الحاثة على عبادة اللَّه و المحذرة عن عبادة غيره، تعلل لزوم عبادته سبحانه بالأُلوهية تارة و الربوبية أُخرى، و هذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ العبادة من شؤون الإله و الربّ، و انّها كانت ضابطة مسلّمة بين المخاطبين، و لم يكن فيها أىّ اختلاف و إنّما كان الاختلاف فى الموصوف بهما، فالذكر الحكيم لا

يرى فى صحيفة الوجود، إلهاً ولا ربّاً غيره، و يُحصر العنوانين فى اللّه سبحانه بينما يرى المشركين أصنامَهم آلهة و أرباباً و لذلك ذهبوا إلى عبادتها و الخضوع أمامها لأنّها أرباب و آلهة عندهم و لها نصيب من العنوانين. وعلى الجملة: انّ الدعوة إلى عبادة اللّه أو حصرها فيه معللًابأنّه سبحانه إله و ربّ و لا إله ولا ربّ غيره، يعطى اتفاق الموحد والمشرك على تلك الضابطة و أنّها من شؤون من كان ربّاً و إلهاً و إنّما كان الاختلاف و الجدال فى المصاديق، و إنّه هل هناك إله أو ربّ غيره سبحانه، أو لا؟ فالأنبياء يؤكدون على الثانى، و المشركون على الأوّل، وعلى هذا لو كان هناك خضوع أمام شىء، من دون هذه العقيدة فلا يكون عبادة باتّفاق الموحد و المشرك. و إليك ما استظهرناه من الآيات: ۱- قال سبحانه: «يا قَومِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» (الأعراف/ ۵۹). وقد وردت هذه الآية فى مواضع كثيرة من القرآن. «۱» إنّ قوله سبحانه: «ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» بمنزلة التعليل للأمر بحصر الاسماء الثلاث، ص: ۵۶ العبادة فى اللّه تعالى و معناه: اعبدوا اللّه و لا تعبدوا سواه، و ذلك لأنّ العبادة من شؤون الأُلوهية ولا إله غيره. ۲- قال سبحانه: «وَ قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِى إِسرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّه رَبّى وَ ربَّكُمْ» (المائدة/ ۷۲). «إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدة وأَنَا ربُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» (الأنبياء/ ۹۲). «إِنَّ اللَّهَ ربّى وَربُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقيم» (آل عمران/ ۵۱). «يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبّكُمُ الّذِى خَلَقَكُمْ وَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» (البقرة/ ۲۱). و كيفية البرهنة فى هذا الصنف من الآيات مثلها فى الآية السابقة. وقد ورد مضمون هذه الآيات أعنى: جعل العبادة دائرة مدار الربوبية فى آيات أُخرى. «۱» إنّ تعليق الأمر بالعبادة على لفظ الربّ فى قوله «اعبدوا ربّكم» دليل على أنّ وجه تخصيص العبادة باللّه سبحانه هو كونه ربّاً و لا ربّ غيره، فهذا يعرب عن كون العبادة من شؤون من يكون ربّاً، وليس الربّ إلّااللّه سبحانه، وأمّا ربوبية غيره فباطلة. ۳- قال سبحانه: «ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلّا هُوَ خالِقُ كُلّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ» (الأنعام ۱۰۲). فقد علل الأمر بعبادة اللّه سبحانه فى هذه الآية بشيئين: أ: إنّه «ربّكم». ب: إنّه «خالق كلّ شىء». الاسماء الثلاث، ص: ۵۷ فيدل بوضوح على أنّ العبادة من شؤون الربوبية و الخالقية، فمن كان خالقاً، أو ربّاً، مدبّراً للكون والإنسان، تجب عبادته، وأمّا من كان مجرداًعن هذه الشؤون فكان مخلوقاً بل خالقاً و لا ربّاًو مدبّراً متصرفاً فيه مكان كونه مدبِّراً و متصرِّفاً، فلا يصلح أن يكون معبوداً. *** إنّه سبحانه يشرح فى مجموعة من الآيات بأنّه الخالق الرازق المميت المحيى، و إنّ الشفاعة له جميعاً، وهو الغافر للذنوب لا غيره، ولا يهدف من ذكر هذه الأوصاف لنفسه إلّا توجيه نظر الإنسان نحو صلاحيته للعبادة لا غيره و هو يعرب عن أنّ العبادة من شؤون من يكون خالقاً، و رازقاً، مميتاً، محيياً، غافراً للذنوب، ماحياً للسيئات و ليس إلّا هو، و إنّ المشركين يعبدون أصناماً، يزعمون أنّها تملك شيئاً من هذه الأُمور أو بعضها و لكنّها عقيدة خاطئة، إذ هو الرازق المحيى المميت الغافر، للذنوب لا غيره. ۵- يقول سبحانه: «اللَّهُ الّذى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» (الروم/ ۴۰). وقال تعالى: «هَلْ لَكُمْ مِن ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ شُرَكاء فِى ما رَزَقْناكُمْ» (الروم/ ۲۸). وقال تعالى: «هُوَ يُحْيى وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ» (يونس/ ۵۶). وقال سبحانه: «قُلْ للَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً» (الزمر/ ۴۴). وقال تعالى: «وَ مَنْ يَغْفِرُالذُّنُوبَ إِلّااللّه» (آل عمران/ ۱۳۵). فهذا الصنف من الآيات التى تلونا عليك قسماً قليلًا منها يدل على أنّه لايستحقّ العبادة إلّامن يتمتع بهذه الشؤون وماضاهاها فلو كان متمتعاً بها واقعاً الاسماء الثلاث، ص: ۵۸ فهو المعبود حقّاً و إلّافلا يكون مستحقّاً للعبادة. والعجب، أنّ كلّ من ارتأى تعريف العبادة فإنّما نظر إلى العنصر الثانى (الخضوع) الذى لم يختلف فيه اثنان، و لم يركز الكلام على العنصر الأوّل (الإعتقاد الخاصّ)، مع أنّه الفيصل بين العبادة، والتكريم. وحاصل هذا البيان أنّه لا يصحّ أن ينظر إلى ظاهر الأعمال بل يجب النظر فى مبادئها و مناشئها فالعبادة لا تتحقق و لا يصدق عنوانها على شىء إلّاإذا اتّحد العمل مع عمل الموحدين أو المشركين فقد كان عمل الموحدين نابعاً عن الاعتقاد الخاص بأُلوهيته سبحانه وربوبيته كما كان عمل المشركين أيضاً نابعاًمن هذا المبدأ لكن فى حقّ أصنامهم و أوثانهم. نعم المشركون لم يكونوا معتقدين بخالقية معبوداتهم و لكنّهم كانوا معتقدين بأُلوهيتهم و ربوبيتهم و تصرّفاتهم فى الكون و بكونهم مالكين للمغفرة والشفاعة. و على ضوء هذا فكلّ خضوع يتمتع بنفس هذا العنصر يُضفى عليه عنوانُ العبادة فإن أتى به للّه سبحانه يكون موحّداً و إن أتى به لغيره يكون مشركاً. فلايصحّ لنا القضاء على ظاهر الأعمال من دون التفتيش عن بواطنها.

التعاريف الثلاثة للعبادة

التعاريف الثلاثة للعبادة و قد خرجنا- بالإمعان فى عقائد الموحّدين و المشركين و بالإمعان فى الآيات الحاثة على عبادة اللّه والنهى عن عبادة غيره بالنتيجة التالية: إنّ العبادة ليست خضوعاً فارغاًمهما بلغ أعلاه بل خضوعاً نابعاًعن عقيدة خاصة وهى الاعتقاد بكون المخضوع له ربّاً، أو إلهاً، أو مصدراً للأفعال الإلهية فلذلك يصحّ تعريفها على أحد الوجوه التالية و يكون جامعاً لعامة أفرادها، و دافعاً عن دخول غيرها فى تعريفها: الاسماء الثلاث، ص: ۵۹ ۱- خضوع لفظى أو عملى ناشئ من العقيدة بأُلوهية المخضوع له. ۲- العبادة هى الخضوع بين يدى من يعتبره «ربّاً» و بعبارة أُخرى. هى الخضوع العملى أو القولى لمن يعتقد بربوبيته، فالعبودية كلازم الاعتقاد بالربوبية. ۳- العبادة خضوع أمام من يُعْتبر إلهاً حقّاً أو مصدراً للأعمال الإلهية كتدبير شؤون العالم و الإحياء والإمامة و بسط الرزق بين الموجودات و غفران الذنوب. ولك صبّ هذا المعنى فى قالب رابع و خامس.

ثمرات البحث

اشارة

ثمرات البحث لقد وقفت- أخى العزيز- على معنى «العبادة» و مفهومها و حقيقتها فى ضوء الكتاب والسنّة، و لم يبق لك أىّ إبهام فى معناها و لا- أىّ غموض فى حقيقتها، و الآن يجب عليك- بعد التعرّف على الضابطة الصحيحة فى العبادة- أن تقيس الكثير من الأعمال الرائجة بين المسلمين من عصر رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم إلى زماننا هذا لترى هل تزاحم التوحيد، وتضاهى الشرك، أو أنّها عكس ذلك توافق التوحيد، و ليست من الشرك فى شىء أبداً؟ ولهذا نجرى معك فى هذا السبيل (أى عرض هذه الأعمال على الضابطة التى حققناها فى مسألة العبادة) جنباً إلى جنب فنقول: إنّ الأعمال التى ينكرها الوهابيون على المسلمين هى عبارة عن:

۱- التوسل بالأنبياء والأولياء فى قضاء الحوائج

۱- التوسل بالأنبياء والأولياء فى قضاء الحوائج فهل هذا شرك أو لا؟ يجب عليك أخى القارئ أن تجيب على هذا السؤال بعد عرضه على الضابطة التى مرّت فى تحديد معنى العبادة و مفهومها، فهل المسلِم المتوسِّل بالأنبياء والأولياء يعتقد فيهم «أُلوهية» أو «ربوبية» و لو بأدنى مراتبهما و قد الاسماء الثلاث، ص: ۶۰ عرفت معنى الأُلوهية والربوبية بجميع مراتبهما و درجاتهما، أو إنّه يعتقد بأنّهم عباد مكرمون عند اللّه تعالى تستجاب دعوتُهم، و يجاب طلبهم بنص القرآن الكريم. فإذا توسّل المتوسّل بالأنبياء والأولياء بالصورة الأُولى كان عمله شركاً، يخرجه عن ربقة الإسلام. و إذا توسّل بالعنوان الثانى لميفعل مايزاحم التوحيد ويضاهى الشرك أبداً. و أمّا أنّ توسّله بهم مفيد أو لا، محلّل أو محرّم من جهة أُخرى غير الشرك؟ فالبحث فيهما خارج عن نطاق البحث الحاضر الذى يتركز الكلام فيه على تمييز التوحيد عن الشرك، و بيان ما هو شرك و ما هو ليس بشرك.

۲- طلب الشفاعة من الصالحين

۲- طلب الشفاعة من الصالحين هناك من ثبت قبول شفاعتهم بنصّ القرآن الكريم و السنّة الصحيحة. ثمّ إنّ طلب الشفاعة منهم إن كان بما أنّهم مالكون للشفاعة و أنّها حقّ مختصّ بهم، و أنّ أمر الشفاعة بيدهم، أو إنّه قد فُوِّض إليهم ذلك المقام، فلا شكّ أنّ ذلك شرك و انحراف عن جادة التوحيد، و اعتراف بأُلوهية الشفيع (المستَشْفع به) و ربوبيته، ودعوة الصالحين للشفاعة بهذا المعنى والقيد شرك لا محالة. وأمّا إذا طلب الشفاعة من الصالحين بما أنّهم عباد مأمورون من جانب اللّه سبحانه للشفاعة فى من يأذن لهم اللّه بالشفاعة له، ولا- يشفعون لمن لم يأذن اللّه بالشفاعة له، و إنّ الشفاعة بالتالى حقّ مختص باللّه بيد أنّه تعالى، يجرى فيضه على

عباده عن طريق أوليائه الصالحين المكرمين. فالطلب بهذا المعنى و بهذه الصورة لا يزاحم التوحيد، ولا يضاهى الشرك، الاسماء الثلاث، ص: ۶۱ فهو طلب شيء من شخص مع الاعتراف بعبوديته المحضة و مأموريته الخاصة. وأمّا أنّه طلب مفيد أو لا، أو أنّه محلّل أو محرّم من جهة أُخرى غير جهة الشرك و التوحيد؟ فهو أمر خارج عن إطار هذا البحث الذى يتركز- كما أسلفنا- على بيان التوحيد والشرك فى العبادة.

۳- التعظيم لأولياء اللّه و قبورهم و تخليد ذكرياتهم.

۳- التعظيم لأولياء اللّه و قبورهم و تخليد ذكرياتهم. فهل هذا العمل يوافق ملاك التوحيد أو يوافق ملاك الشرك؟ الجواب هو أنّ هذا العمل قد يكون توحيداًمن وجه، و قد يكون شركاً من وجه آخر. فإن كان التعظيم و التكريم- بأىّ صورة كان- قد صدر عن الأشخاص تجاه أُولئك الأولياء بما أنّ هؤلاء الأولياء عِباد أبرار، وقفوا حياتهم على الدعوة إلى اللّه، و ضحّوا بأنفسهم و أهليهم و أموالهم فى سبيل اللّه، و بذلوا فى هداية البشرية كلّ غالٍ و رخيص، فانّ مثل هذا التعظيم يوافق مواصفات التوحيد، لأنّه تكريم عبدٍ من عباد اللّه لما أسداه من خدمة فى سبيل اللّه، مع الاعتراف بأنّه عبد لا يملك شيئاً إلّا ما ملّكه اللّه، و لا يقدر على عمل إلّابما أقدره اللّه عليه. انّ مثل هذا التعظيم يوافق أصل التوحيد بمراتبه المختلفة دون أىّ شكّ. وأمّا أنّه مفيد أو لا، أو أنّه حلال أو حرام من جهة أُخرى غير جهة الشرك و التوحيد فخارج عن نطاق هذا البحث المهتم ببيان ما هو شرك و ما هو ليس بشرك. وأمّا إذا وقع التعظيم والتكريم للولى معتقداً بأنّه- حيّاً كان أو ميّتاً- مالك لواقعية الأُلوهية أو درجة منها، أو أنّه واجد لمعنى الربوبيّة أو مرتبة منها، فانّه- و لا شكّ- شرك و خروج عن جادة التوحيد. الاسماء الثلاث، ص: ۶۲

۴- الاستعانة بالأولياء

۴- الاستعانة بالأولياء: فهل الإستعانة بالأولياء توافق التوحيد أم توافق الشرك؟ إنّ الإجابة على ذلك تتضح بعد عرض الاستعانة هذه على الميزان الذى أعطاه القرآن لنا، فلو استعان أحد بولى- حياً كان أو ميتاً- على شيء موافق لما جرت عليه العادة أو مخالف للعادة كقلب العصا ثعباناً، و الميت حياً، باعتقاد أنّ المستعان إله، أو ربّ، أو مفوّض إليه بعض مراتب التدبير والربوبية فذلك شرك دون جدال. وأمّا إذا طلب منه كلّ ذلك أوبعضه بما أنّه عبد لا يقدر على شيء إلّا بما أقدره اللّه عليه، وأعطاه و أنّه لا يفعل ما يفعل إلّابإذن اللّه تعالى، و إرادته، فالاستعانة به و طلب العون منه حينئذٍ من صلب التوحيد، من غير فرق بين أن يكون الولى المستعان به حيّاً أو ميّتاً، و أن يكون العمل المطلوب منه عملًا عادياً أو خارقاً للعادة. وأمّا أنّ المستعان قادر على الإعانة أو لا، أو أنّ هذه الإستعانة مجدية أو لا، و أنّ هذه الاستغاثة محلّلة أو محرمة، من جهات أُخرى أو لا؟ فكلّ ذلك خارج عن إطار هذا البحث. وقس عليه سائر ما يرد عليك من الموضوعات التى يتشدد فيها الوهابيون من غير سند سوى التقليد لابن تيمية أو ابن عبد الوهاب، و هم يعتمدون على أقوال الرجال مكان الاعتماد على النصوص فى الكتاب و السنّة فترى انّ استدلالاتهم تدور حول أقوالهم *** لقد حصحص الحقّ و بانت الحقيقة بأجلى مظاهرها ولعلّه لم تبق لمجادل شبهة، ولمرتاب، شك، غير أنّ هنا أُموراًربما تطرح بصورة السؤال أو تدور فى خلد القارئ الكريم فلنأت بها، مع أجوبتها على وجه الايجاز. الاسماء الثلاث، ص: ۶۳

أسئلة و أجوبة

السؤال الأوّل

السؤال الأوّل هل هناك من يفسّر العبادة على غرار ما مضى؟

الجواب

اشارة

الجواب إنّ هناك جماعة من المحقّقين من يفسر العبادة بنحو ما تقدم، منهم الأقطاب الأربعة للعلم و الفضيلة من علماء النجف الأشرف و الأزهر الشريف، و نذكرهم حسب تقدم تاريخ وفاتهم.

۱- الشيخ جعفر كاشف الغطا (۱۱۵۶- ۱۲۲۸)

۱- الشيخ جعفر كاشف الغطا (۱۱۵۶- ۱۲۲۸) قال فى كتابه الذى ألّفه رداً على رسالة عبد العزيز بن سعود: لا ريب انّه لا يُراد بالعبادة (التى لا تكون إلّا للّه، و من أتى بها لغير اللّه، فقد كفر) مطلقُ الخضوع والخشوع والانقياد، كما يظهر من كلام أهل اللغة، و إلّا لزم كفر العبيد والأُجراء و جميعُ الخدّام للأُمراء، بل كفر الأنبياء فى خضوعهم للآباء، و جميع من تواضع للاخوان، أو لأحد من أصحاب الإحسان. وإنّما الباعث على الكفر، إنقياد البعض لبعض العباد مع اعتقاد استحقاقهم ذلك بالاستقلال من دون توجه الأمر من الكريم المتعال، و أنّ لهم تدبيراً و اختياراً. إين حال المسلمين مِنْ حال مَنْ جعل الآلهة ثلاثة، أو اثنين، و اتخذ الملائكة أرباباً دون اللّه، وبعض المخلوقين أنداداً و شركاء، يعبدونها من دون اللّه أو الاسماء الثلاث، ص: ۶۴ مع اللّه، إمّا لأهليتهم، أو لترتب التقرب إلى اللّه زلفى، من دون أمر اللّه لهم بذلك، قال تعالى: «وَ ما أَنْزَلَ اللّه بِها مِنْ سُلْطانٍ». (يوسف/ ۴۰) إعلم انّ الألفاظ اللغوية والعرفية العامة، قد تبقى على حالها من المعانى القديمة، فتلك لا تحتاج إلى بيان، سواء وردت فى السنة و القرآن أم لا. وأمّا إذا انقلبت عن المعانى الأوّلية إلى غيرها، أو استعملت فى المعانى الثانوية على وجه المجازية، فهى من المجمل المحتاج إلى البيان، كلفظ الصلاة، و الصيام، و الحجّ، فانّه لو لم يبينها الشرع لبقيت على إجمالها، حيث لا يراد منها مطلق الدعاء والإمساك والقصد، بل معنى جديد تتوقف معرفته على بيان و تحديد. و من هذا القبيل ما نحن فيه من لفظ العبادة والدعاء ونحوهما، فانّه لايراد بهما فى لحوق الشرك بهما، المعنى القديم، و إلّا لزم كفر الناس من يوم أدم إلى يومنا هذا، لأنّ العبادة بمعنى الطاعة، و الدعاء بمعنى النداء والاستعانة بالمخلوق لايخلو منها أحد. ومن أطوع من العبد لسيّده، و الزوجة لزوجها، و الرعية لملوكهم، ولا زالو ينادونهم و يطلبونهم إعانتهم و مساعدتهم، بل الرؤسا، لم يزالوا يستغيثون بجنودهم وأتباعهم و يندبونهم. فعلم انّه لا يراد بهذه المذكورات المعانى السابقات، و تعينت إرادة المعانى الجديدة. وقال فى تحقيق الدعاء الذى هو مخّ العبادة: إن أُريد بدعوة غير اللّه والاستغاثة، اسناد الأمر إلى المخلوق على انّه الفاعل المختار، الذى تنتهى إليه المنافع والمضار، فذلك من أقوال الكفار، و المسلمون بجملتهم براء من هذه المقالة، و من قائلها، و ما أظن أنّ أحداً ممن فى بلاد المسلمين يرى هذا الرأى، ولاسمعناه من أحد إلى يومنا هذا. الاسماء الثلاث، ص: ۶۵ وإن أريد انّ المدعوّ و المستغاث به، له اختيار وتصرّف فى أمر اللّه، فيحكم على اللّه، فهذا أشدّ كفراً من الأوّل. وإن أُريد دعاؤه و الاستغاثة به، للدعاء والشفاعة (أى ليدعوَ له أو يشفع له عند اللّه)، فهذا من أعظم الطاعات، و فيه محافظة على الآداب من كلّ الجهات. وكون الدعاء عبادة إنّما يجرى فى قسم منه، و هو الطلب من الخالق المدبّر الذى جلّ شأنه عن الأشياء والنظائر، ولو جعلت كلّ دعاء عبادة، للزم أن يكون دعاء زيد لاصلاح بعض الأُمور، أو دفع بعض المحذور، من قبيل الكفر. «۱»

۲- البلاغى النجفى (۱۲۸۴- ۱۳۵۲ ه)

۲- البلاغى النجفى (۱۲۸۴- ۱۳۵۲ ه) إنّ العلّامة الحجّة المحقّق، الشيخ محمد جواد البلاغى النجفى قد قام بتفسير العبادة فى تفسيره الشريف المسمى ب «آلاء الرحمن فى تفسير القرآن» بنفس التعريف الذى ذكرناه فقد أدى حقّ المقال و نقتبس منه ما يلى: لا يزال العوام والخواص يستعملون لفظ العبادة على رِسْلِهم و مجرى مرتكزاتهم على طرز واحد كما يفهمون ذلك المعنى بالتبادر، و يعرفون

بذوقهم مجازه و وجه التجوز فيه. و إنّ المحور الذى يدور عليه استعمالهم و تبادرهم هو أنّ العبادة ما يرونه مشعراً بالخضوع لمن يتخذه الخاضع إلهاً ليوفيه بذلك ما يراه له من حقّ الامتياز بالالهيّة. أو بعنوان أنّه رمز أو مجسمة لمن يزعمه إلهاً، تعالى اللَّه عمّا يشركون. و لكن الخطأ و الشرك أو البهتان و الزور أو الخبط فى التفسير وقع هنا فى مقامات ثلاثة: الأوّل: الإتيان بما تتحقّق به حقيقة العبادة لما ليس أهلًا لذلك بل هو مخلوق للَّه كعبادة الأوثان مثلًا. الاسماء الثلاث، ص: ۶۶ الثانى: مقام البهتان والافتراء و خدمة الأغراض الفاسدة لترويج التحزبات الأثيمة فيقولون لمن يوفى النبى أو الإمام شيئاًمن الاحترام بعنوان أنّه عبد مخلوق للَّه، مقرّب عنده لأنّه عبده و أطاعه، أنّه عَبد ذلك المحترم وأشرك باللَّه فى عبادته. ألا تدرى لمن يبهتون بذلك، يبهتون من يحترم النبى أو الإمام تقرباًإلى اللَّه، لأنّه اختاره و أكرمه بمقام الرسالة أو الإمامة التى هى بجعل اللَّه و عهده كما وعد اللَّه بذلك إبراهيم فى قوله تعالى فى سورة البقرة: «وَ إِذِابْتَلى إِبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتى قالَ لا- يَنالُ عَهْدِى الظّالِمينَ» (البقرة/ ۱۲۴) و هذا الاحترام المعقول المشروع لا يقل عنه و لا يخرج من نوعه ما هو المعلوم والمشاهد من احترام هؤلاء المتحزبين، لملوكهم، وزعمائهم، وحكّامهم، وخضوعهم لهم بالقول والعمل. المقام الثالث: كثيراً ما فُسِّرت العبادة بأنّها ضرب من الشكر، مع ضرب من الخضوع، أو الطاعة وهل يخفى عليك أنّ هذه التفاسير مبنيّة على التساهل بخصوصيات الاستعمال، أو الارتباك فى مقام التفسير، وهل يخفى أنّ أغلب الأفراد من كلّ واحد ممّا ذكروه لا يراه الناس عبادة و يغلطون من يسمّيها أو بعضها عبادة إلّا على سبيل المجاز. و إنّ لفظ العبادة و ما يشتق منه كَعَبَدَو يَعْبُد لا تجدها مستعملة على وجه الحقيقة إلّافيما ذكرناه من معاملة الإنسان لمن يتخذه إلهاًمعاملة الإله، المستحق لذلك بمقامه فى الآلهية. «۱»

۳- القضاعى العزامى الشافعى (۱۲۸۴- ۱۳۵۸ ه)

۳- القضاعى العزامى الشافعى (۱۲۸۴- ۱۳۵۸ ه) قد ألف العلّامة المدقق الشيخ سلامة القضاعى العزامى المصرى كتاباً أسماه «فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان»، و طُبع فى مقدمة الاسماء الثلاث، ص: ۶۷ الأسماء و الصفات للبيهقى وهو من أنفس ما كتب فى هذا الموضوع، و قداشتمل بإيجازه على عقائد ابن تيمية و نقده بالعرض على الكتاب والسنّة غير أنّ أنصار الحشوية، عمدوا فى الآونة الأخيرة إلى إبعاد الكتاب عن متناول الطالبين فطبعوا كتاب البيهقى مجرّداًعن هذا التقديم. مع أنّه لايقلّ عن ذيه لولم نقل إنّه يزيد عليه وزناًو قيمة. فقد أفاض الكلام فى معنى العبادة على وجه دقيق نقتبس منه مايلى: إنّ الغلط فى تفسير العبادة، المزلقةُ الكبرى والمزلّة العظمى، التى أُستحِلت بها دماءُ لا تحصى، وانتهكت بها أعراض لا تعد، وتقاطعت فيها أرحام أمر اللَّه بها أن توصل، عياذاً باللَّه من المزالق والفتن. ولاسيما فتن الشبهات. فاعلم أنّهم فسروا العبادة بالإتيان بأقصى غاية الخضوع، و أرادوا بذلك المعنى اللغوى، أمّا معناها الشرعى فهو أخصّ من هذا كما يظهر للمحقّق الصبّار على البحث من استقراء مواردها فى الشرع، فانّه الإتيان بأقصى غاية الخضوع قلباً، باعتقاد ربوبية المخضوع له، فإن انتفى ذلك الاعتقاد لم يكن ما أتى به من الخضوع الظاهرى من العبادة شرعاً، فى كثير ولا- قليل مهما كان المأتى به و لو سجوداً. ومثل اعتقاد الربوبية اعتقاد خصيصة من خصائصها كالاستقلال بالنفع و الضرّ، و كنفوذ المشيئة لا محالة و لو بطريق الشفاعة لعابده عند الربّ الّذى هو أكبر من هذا المعبود. و إنّما كفر المشركون بسجودهم لأوثانهم و دعائهم إيّاهم، وغيرهما من أنواع الخضوع لتحقّق هذا القيد فيهم، و هو اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له، أو خاصة من خواصها كما سيأتيك تفصيله. و لا يصحّ أن يكون السجود لغير اللَّه فضلًا عمّا دونه من أنواع الخضوع بدون هذا الاعتقاد، عبادة شرعاً (كسجود الملائكة لآدم)، فانّه حينئذٍ يكون كفراً و ما هو كفر فلا يختلف باختلاف الشرائع، ولا يأمر اللَّه عزّ وجلّ به «قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ» (الأعراف/ ۲۸) «وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ» (الزمر/ ۷) و ذلك ظاهر إن شاء اللَّه. و ها أنت ذا تسمع اللَّه تعالى قد قال للملائكة: «اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا الاسماء الثلاث، ص: ۶۸ إِلّا ابلِيسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ» (البقرة/ ۳۴) و قال: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ» (الأعراف/ ۱۲) وقال: «ءَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» (الإسراء/ ۶۱) والقول بأنّ آدم كان قبلة قول لا يرضاه التحقيق و يرفضه التدقيق فى فهم الآيات كما

ينبغى أن تفهم. فإن تعسّر عليك فهم هذا و هوليس بعسير إن شاء اللّه تعالى، فانظر إلى نفسك فانّه قد يقضى عليك أدبك مع أبيك و احترامك له أن لا تسمح لنفسك بالجلوس أو الاضطجاع بين يديه، فتقف أو تقعد ساعة أو فوقها، و لا يكون ذلك منك عبادة له، لماذا لأنّه لم يقارن هذا الفعل منك اعتقاد شىء من خصائص الربوبية فيه. و تقف فى الصلاة قدر الفاتحة و تجلس فيها قدر التشهد و هو قدر دقيقة أو دقيقتين فيكون ذلك منك عبادة لمن صلّيتَ له، و سرّ ذلك هو أنّ هذا الخضوع الممثّل فى قيامك و قعودك يقارنه اعتقادك الربوبية لمن خضعتَ له عزّوجل. وتدعو رئيسك فى عمل من الأعمال أو أميرك أن ينصرك على باغ عليك أو يغنيك من أزمة نزلت بك و أنت معتقد فيه انّه لا يستقل بجلب نفع أو دفع ضر، و لكن اللّه جعله سبباً فى مجرى العادة يقضى على يديه من ذلك ما يشاء فضلًا منه سبحانه، فلا يكون ذلك منك عبادة لهذا المدعوّ، و أنت على ما وصفنا، فإن دعوتَه و أنت تعتقد فيه أنّه مستقل بالنفع، أو الضرّ، أو نافذ المشيئة مع اللّه لا محالة، كنت له بذلك الدعاء عابداً، و بهذه العبادة أشركته مع اللّه عزّوجلّ، لأنّك قد اعتقدت فيه خصيصة من خصائص الربوبية، فانّ الاستقلال بالجلب أو الدفع و نفوذ المشيئة لا محالة هو من خصائص الربوبية، والمشركون إنّما كفروا بسجودهم لأصنامهم و نحوه لاعتقادهم فيها الاستقلال بالنفع، أو الضرّ ونفوذ مشيئتهم لامحالة مع اللّه تعالى، و لو على سبيل الشفاعة عنده، فانّهم يعتبرونه الربّ الأكبر و لمعبوداتهم ربوبية دون ربوبيته، و بمقتضى ما لهم من الربوبية وجب لهم نفوذ الاسماء الثلاث، ص: ۶۹ المشيئة معه لا محالة. ويدل لما قلنا آيات كثيرة كقوله تعالى: «أَمَّنْ هذَا الَّذِى هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحمنِ إِنِ الْكافِرونَ إِلّا فى غُرُورٍ» (الملك/ ۲۰) و قوله: «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَ لا هُمْ مِنّا يُصْحَبُونَ» (الأنبياء/ ۴۳) و الاستفهام فى الآيتين إنكارى على سبيل التوبيخ لهم على ما اعتقدوه. وحكى اللّه عن قوم هود قولهم له عليه السلام: «إِنْ نَقُولُ إِلّااعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ» (هود/ ۵۴) وقوله لهم: «فَكِيدُونى جَميعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ* إِنّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبّى وَ رَبِّكُمْ ...» (هود/ ۵۵- ۵۶) و كقوله تعالى موبخاً لهم يوم القيامة على ما اعتقدوه لها من الاستقلال بالنفع ووجوب نفوذ مشيئتها: «أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ* مِنْ دُونِ اللّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ» (الشعراء/ ۹۲- ۹۳) و قولهم و هم فى النار يختصمون يخاطبون من اعتقدوا فيهم الربوبية و خصائصها: «تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِى ضَلالٍ مُبينٍ* إِذْنُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمينَ» (الشعراء/ ۹۷- ۹۸) فانظر إلى هذه التسوية التى اعترفوا بها حيث يصدق الكذوب، ويندم المجرم حين لا ينفعه ندم. فانّ التسوية المذكورة إن كانت فى إثبات شىء من صفات الربوبية فهو المطلوب، و من هذه الحيثية شركهم و كفرهم، لأنّ صفاته تعالى تجب لها الوحدانية بمعنى عدم وجود نظير لها فى سواه عزّ وجلّ. و إن كانت التسوية فى استحقاقها للعبادة فهو يستلزم اعتقاد الاشتراك فيما به الاستحقاق، و هو صفات الألوهية أو بعضها، و إن كانت فى العبادة نفسها فهى لا تكون من العاقل إلّالمن يعتقد استحقاقه لها كربّ العالمين، تعالى اللّه عمّا يشركون. وكيف يُنفى عنهم اعتقاد الربوبية بآلهتهم وقد اتّخذوها أنداداً و أحبوها كحبّ اللّه كما قال تعالى فيهم: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ» (البقرة/ ۱۶۵) و الأنداد جمع «ند» و هو على ما قاله أهل التفسير واللغة: المثل المساوى، فهذا ينادى عليهم انّهم اعتقدوا فيها ضرباً من المساواة الاسماء الثلاث، ص: ۷۰ للحقّ تعالى عمّا يقولون. (؟؟)

۴- فقيه العصر السيد الخوئى (۱۳۱۷- ۱۴۱۲ ه)

۴- فقيه العصر السيد الخوئى (۱۳۱۷- ۱۴۱۲ ه) إنّ للسيد الفقيه المحقّق السيد أبى القاسم الخوئى قدس سره كلاماً فى العبادة فى تفسير قوله سبحانه: «إيّاك نعبد و إيّاك نستعين» نأتى به: قال: إنّ حقيقة العبادة خضوع العبد لربّه بما أنّه ربّه و القائم بأمره، و الربوبية تقتضى حضورَ الربّ لتربية مربوبه، و تدبير شؤونه. وكذلك الحال فى الاستعانة فانّ حاجة الإنسان إلى إعانة ربّه و عدم استغنائه عنه فى عبادته، تقتضى حضورَ المعبود لتتحقّق منه الإعانة، فلهذين الأمرين عدل السياق من الغيبة إلى الخطاب فالعبد حاضر بين يدى ربّه غير غائب عنه. مما لا يرتاب فيه مسلم أنّ العبادة بمعنى التألّه، تختص باللّه سبحانه وحده، وقد قلنا: إنّ هذا المعنى هو الذى ينصرف إليه لفظ العبادة عند الإطلاق، و هذا هو التوحيد الذى أُرسلت به الرسل، و أُنزلت لأجله الكتب: «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ

سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيئاً وَلايَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» (آل عمران/ ۶۴). فالإيمان باللَّه تعالى لا يجتمع مع عبادة غيره، سواء أنشأت هذه العبادة عن اعتقاد التعدد فى الخالق، و إنكار التوحيد فى الذات، أم نشأت عن الاعتقاد بأنّ الخلق معزولون عن اللَّه فلا يصل إليه دعاؤهم، وهم محتاجون إلى إله أو آلهة أُخرى تكون وسائط بينهم و بين اللَّه يقربونهم إليه، و شأنه فى ذلك شأن الملوك و حفدتهم، فانّ الملك لما كان بعيداً عن الرعية احتاجت إلى وسائط يقضون حوائجهم، و يجيبون دعواتهم. الاسماء الثلاث، ص: ۷۱ وقد أبطل اللَّه سبحانه كلا الاعتقادين فى كتابه العزيز، فقال تعالى فى إبطال الاعتقاد بتعدد الآلهة: «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلّا اللَّهُ لَفَسَدتا» (الأنبياء/ ۲۲) «وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمّا يَصِفُونَ» (المؤمنون/ ۹۱). وأمّا الاعتقاد الثانى- و هو إنّما ينشأ عن مقايسته بالملوك و الزعماء من البشر- فقد أبطله اللَّه بوجوه من البيان: فتارة يطلب البرهان على هذه الدعوى، و انّها ممّا لم يدل عليه دليل، فقال: «ءَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» (النمل/ ۶۴) «قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظِلُّ لَها عاكِفِينَ* قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعونَ* او يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُّون* قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ» (الشعراء ۷۱- ۷۴). و أُخرى بإرشادهم إلى ما يدركونه بحواسهم من أنّ ما يعبدونه لا يملك لهم ضرّاً و لا نفعاً، والّذى لا يملك شيئاًمن النفع والضرّ، والقبض والبسط، و الإماتة و الإحياء، لا يكون إلّامخلوقاً ضعيفاً، ولا ينبغى أن يتخذ إلهاً معبوداً. «قالَ أَفَتَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيئاً وَ لايَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفِلا تَعْقِلُونَ» (الأنبياء/ ۶۶- ۶۷). «قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَ لا نَفْعاً» (المائدة/ ۷۶) «أَلَمْ يَرَوا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبيلًا اتَّخَذُوهُ وَكانُوا ظالِمينَ» (الأعراف/ ۱۴۸) «۱». الاسماء الثلاث، ص: ۷۲

السؤال الثانى

ما هوالمراد من العبادة فى هذه الآيات؟

ما هوالمراد من العبادة فى هذه الآيات؟ إذا كانت العبادةُ هى الخضوع أمام موجود بما أنّه إله أو ربّ أو من بيده مصير الإنسان أو بيده أفعاله من شفاعة و مغفرة، فما هو المراد منها فى الآيات التالية التى لايصحُّ تفسير العبادة فيها بالمعنى المذكور؟ قال سبحانه حاكياً عن الخليل عليه السلام: «يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيّاً» (مريم/ ۴۴). ومن المعلوم أنّ مخاطَبَ الخليل، لم يكن يعبد الشيطان بالمعنى المذكور إذ لميتخذه إلهاً و رباً، و إنّما كان يعبد التماثيل والأصنام بما أنّها آلهة و أرباب و هذا إن دلّ على شىء، فإنّما يدل على أنّه يصحّ استعمالها فى مورد لم يكن المخضوع له إلهاً ولا ربّاً لدى الخاضع. وقال سبحانه: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنى آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبينٌ» (يس/ ۶۰) و ليس الشيطان عند الكفّار والعصاة إلهاً ولا ربّاً، مع أنّه وصف الانقياد له بالعبادة. وقال سبحانه: «فَقالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرينِ مِثْلِنا وَقَومُهُما لَنا عابِدُونَ» (المؤمنون/ ۴۷) و لميكن بنو إسرائيل عبدةً لفرعونَ و قومه بالمعنى المطلوب وإنّما كانوا أذلّاء بأيديهم.

الجواب

الجواب أمّا الآية الأُولى، فقد استعيرت العبادة فيها، للطاعة العمياء، للشيطان الاسماء الثلاث، ص: ۷۳ على الدوام، فكان اتباعهم الشيطان فى كل ما يأمر و ينهى يمثّل أنّهم اتّخذوه إلهاً و ربّاً فأطاعوه كإطاعة المؤمنين للَّه على بصيرة من أمرهم بما انّه إلههم و ربّهم. فكأنّ الخليل يخاطب آزر و يقول له: يا أبت لا تطع الشيطان فيما يأمرك به من عبادة الأصنام لأنّ الشيطان عصىّ مقيم على معصية اللَّه الّذى هو مصدر كلّ رحمة و نعمة، فهو لا يأمر إلّا بما فيه معصيته و الحرمان من رحمته. ومثلها الآية الثانية، فالمراد هوالطاعة فاستعيرت لها العبادة تبييناً لأمرها والمراد منها التبعيّة المطلقة العشوائية التى نهيت عنها فى عدّة آيات بهذه اللفظة قال سبحانه: «كُلُوا

مِمّا فِي الأَرْضِ حَلالًا طَيِّباً ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ» (البقرة/ ۱۶۸) و قال تعالى: «ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كافَّةً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ» (البقرة/ ۲۰۸) و قال عزّمن قائل: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِعِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ» (الحجّ/ ۳). و بالجملة: تبعيتهم للشيطان أو إطاعتهم للهوى و الميول النفسانية، يمثّل اتّخاذهم لها إلهاً، أو ربّاً قال سبحانه: «أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا» (الفرقان/ ۴۳). وقال عزّ من قائل: «أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ» (الجاثية/ ۲۳) أى «انقاد لهواه كانقياده لإلهه، فيرتكب ما يدعوه إليه، نعم انّهم لم يتخذوا هواهم إلهاً حقيقة لكنّهم لمّا إنقادوا حيثما قادهم الهوى، فكأنّه صار إلهاً لهم. ومثله قوله سبحانه: «أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدون» و المراد هو المعنى اللغوى المحض أى خاضعون، متذللون، و منه أيضاً إطلاق المعبّد على الطريق الذى يكثر المرور عليه. والآية نظير قوله: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ» (الشعراء/ ۲۲) أى جعلتهم أذلّاء تَذْبَح أبناءهم و تستحيى الاسماء الثلاث، ص: ۷۴ نساءهم. وحصيلة البحث: أنّ استعمال العبادة فى مورد الشيطان، أو الإله فى مورد الهوى من باب مجاز الاستعارة، والغاية هو بيان فرط خضوعهم للشيطان أو الميول النفسانية، وأمّا استعمالها فى قوم موسى فالمقصود هو المعنى اللغوى. و ممّا ذكرنا تقف على مفاد العبادة فى الحديث المعروف: من أصغى إلى ناطق فقدعبده، فإن نطق عن اللَّه فقد عبد اللَّه، و إن نطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان. «۱» فقد استعيرت العبادة فى الحديث للطاعة المطلقة التى نعبر عنها بالاستسلام المطلق فيتقبل السامع كلّما يلقيه فيكون مطيعاً فى أوامره و نواهيه، وفى مثل هذا الموقف بما أنّ الناطق مبلِّغ عن غيره فكأنّه مطيع للغير محقّاً كان أو مبطلًا. السؤال الثالث

ما هو حكم إطاعة غير اللَّه و الخضوع له؟

ما هو حكم إطاعة غير اللَّه و الخضوع له؟ قد تعرفت- فيما مضى- أنّ التوحيد فى الطاعة من مراتب التوحيد وانّه لا مطاع إلّااللَّه سبحانه فيقع الكلام فى إطاعة غيره فنقول هى على أقسام: الأوّل: أن تكون طاعتُه بأمر من اللَّه سبحانه كما هو الحال فى إطاعة الرسول و خلفائه الطاهرين و هى فى الحقيقة اطاعة للَّه، قال سبحانه: «وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ» (النساء/ ۸۰) و قال عزّمن قائل: «وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلّالِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» (النساء/ ۶۴). الثانى: أن تكون طاعته منهيّاً عنها كإطاعة الشيطان و من يأمر بالعصيان الاسماء الثلاث، ص: ۷۵ قال سبحانه: «يا أَيهَا النَبِيُّ اتَّقِ اللَّهِ وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً» (الأحزاب/ ۱) وقال عزّ من قائل: «وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاتُطِعْهُما» (لقمان/ ۱۵) الثالث: أن لا يتعلّق بها أمر و لا نهى فى الشرع فتكون حينئذٍ جائزة غير واجبة ولا محرّمة كإطاعة الجندى لآمره، و العامل لربّ عمل، وهكذا إطاعة كلّ مرؤوس لرئيسه فى أىّ تجمع كان، إذا لم يأمر بالحرام. إنّ كلّ تجمع سواء كان عسكرياً أو مدنياً، يتشكّل من أعضاء ذوى مراتب مختلفة و لايصل إلى الغاية المنشودة إلّاإذا كانت بين الأعضاء درجات فى مستويات الإمرة، ففى مثل هذا التجمع تلزم الطاعة من العناصر المقومة للوصول إلى الغاية، و لاتعد تلك الطاعة شركاً منافياً لحصر الطاعة فى اللَّه و ذلك لأنّ الشارع أعطى حرية التعامل بين هذه المستويات بشرط أن لا يكون فيه تجاوز عن الحدود، و الطاعة بين المرؤوس و رئيسه من لوازم انجاز الأعمال وتحقيق الغاية ضمن عقد اجتماعى، وأين هى من طاعة اللَّه سبحانه بما أنّه إله، خالق، ربّ.

وأمّا الخضوع للغير فهو على أقسام

وأمّا الخضوع للغير فهو على أقسام: أحدها: الخضوع لمخلوق من دون أن يكون بينه و بين خالقه، إضافة خاصة كخضوع الولد لوالده، و الخادم لسيده و المتعلم لمعلّمه و غير ذلك من الخضوع المتداول بين الناس، و هذا الفرع من الخضوع جائز مالم يرد فيه نهى كالسجود لغير اللَّه قال سبحانه: «وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً» (الإسراء/ ۲۴). ثانيها:

الخضوع للمخلوق باعتقاد أنّ له إضافة خاصة إلى اللَّه يستحقّ من أجلها، الخضوع له، مع كون العقيدة خاطئة، باطلة كخضوع أهل المذاهب الاسماء الثلاث، ص: ۷۶ الفاسدة لرؤسائهم، فلا شكّ فى أنّها حرام لكونها تشريعاً و إدخالًا فى الدين لما ليس منه قال سبحانه: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» (الكهف/ ۱۵). ثالثها: الخضوع للمخلوق والتذلل له بأمر من اللَّه و إرشاده، كما فى الخضوع للنبى صلى الله عليه و آله و سلم و لأوصيائه الطاهرين عليهم السلام بل الخضوع لكلّ مؤمن، أو كلّ ما له إضافة إلى اللَّه توجب له المنزلة و الحرمة، كالمسجد الحرام، و القرآن والحجر الأسود وما سواها من الشعائر الإلهية. و هذا القسم من الخضوع محبوب للَّه فقد قال تعالى: «فَسَوفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ» (المائدة/ ۵۴). بل هو لدى الحقيقة خضوع للَّه، و إظهار للعبودية له فمن اعتقد بالوحدانية الخالصة للَّه، و اعتقد أنّ الإحياء والإماتة والخلق والرزق والقبض والبسط والمغفرة و العقوبة كلّها بيده، ثمّ اعتقد بأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم و أوصياءه الكرام عليهم السلام «عِبادٌ مُكْرَمُونَ* لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَولِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» (الأنبياء/ ۲۶- ۲۷) فعظّمهم و خضع لهم، تجليلًا لشأنهم و تعظيماً لمقامهم، لم يخرج بذلك عن حدّالإيمان، ولم يعبد غير اللَّه. ولقد علم كلّ مسلم أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم كان يقبّل الحجر الأسود، و يستلمه بيده إجلالًا لشأنه و تعظيماًلأمره. «۱» الاسماء الثلاث، ص: ۷۷

السؤال الرابع

دواعى العبادة للَّه سبحانه

اشارة

دواعى العبادة للَّه سبحانه العبادة فعل اختيارى للإنسان لابدّ لصدوره من الإنسان من داعٍ وباعثٍ فما هو الداعى الصحيح لها؟ الجواب: العبادة فعل اختيارى للإنسان لابدّ من وجود داع إليه و يمكن أن يكون الباعث أحد الأُمور الثلاثة التالية:

۱ و ۲- الطمع فى إنعامه و الخوف من عقابه

۱ و ۲- الطمع فى إنعامه و الخوف من عقابه وهذا هو الداعى العام فى غالب الناس وقد أُشير إليهما فى مجموعة منالآيات: قال سبحانه: «تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوفاً وَطَمعاً» (السجدة/ ۱۶) وقال عزّمن قائل: «وَادْعُوهُ خَوفاً وَطَمعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (الأعراف/ ۵۶). وقال عزّمن قائل: «أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً» (الإسراء/ ۵۷). ومع هذه النصوص الرائعة الصريحة فى تجويز عبادة اللَّه بهذين الداعيين، نرى أنّ بعض المتكلّمين يرفضون هذا النوع من الداعى، و يُصرّون على لزوم خلوص العبادة من أىّ داع نفسانى من غير فرق بين الطمع فى رحمته، أو الخوف من ناره و يبطلون العبادة إذا كانت ناشئة عن هذين المبدئين. لا شكّ أنّ العبادة لأجل كمال المعبود وجماله من أفضل العبادات، و لكنّها الاسماء الثلاث، ص: ۷۸ غاية لا يصل إليها إلّا من ارتاض فى ميدان العبادة حتى ينسى نفسه ولا يرى إلّامعبوده، و أين تلك الأُمنية من متناول أغلبية الناس الذين تهمهم أنفسهم لاغير، و إن أطاعوه فلأجل الخوف. وإليك حديثين رائعين عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ قوماً عبدوا اللَّه رغبة فتلك عبادة التجار، و إنّ قوماً عبدوا اللَّه رهبة فتلك عبادة العبيد، و إنّ قوماً عبدوا اللَّه شكراً فتلك عبادة الأحرار. «۱» وقال الإمام الصادق عليه السلام: العبادة ثلاثة، قوم عبدوا اللَّه عزّو جلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا اللَّه تبارك و تعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأُجراء، و قوم عبدوا اللَّه عزّ وجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار، وهى أفضل العبادة. «۲»

۳- كونه سبحانه أهلًا للعبادة

۳- كونه سبحانه أهلًا للعبادة أن يعبد اللّه بما أنّه أهل لأن يُعبد، لكونه جامعاً لصفات الكمال و الجمال، و هذا النوع من الداعى يختص بالمخلصين من عباده الّذين لا يرون لأنفسهم إنّية، و لا لذواتهم أمام خالقهم شخصية، إندكت أنفسهم فى ذات اللّه فلا ينظرون إلى شىء إلّا و يرون اللّه قبله و معه و بعده، فهم المخلَصون الّذين لا يطمع الشيطان فى إغوائهم قال سبحانه حاكياً عن إبليس: «وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» (الحجر/ ۱۹- ۴۰) قال سيد الموحدين على عليه السلام: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً فى جنتك و لكن وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتُك. «۳» الاسماء الثلاث، ص: ۷۹

خاتمة المطاف

الفوضى فى التطبيق بين الإمام و المأموم

الفوضى فى التطبيق بين الإمام و المأموم لقد ترك الإهمال فى تفسير العبادة تفسيراً منطقياً، فوضى كبيرة فى مقام التطبيق بين الإمام و المأموم فنرى أنّ إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (۱۶۴- ۲۴۱ ه) صدر عن فطرة سليمة فى تفسير العبادة، وأفتى بجواز مسّ منبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم والتبرّك به و بقبره و تقبيلهما عند ما سأله ولده عبد اللّه بن أحمد، و قال: سألته عن الرجل يمسّ منبرَ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم و يتبرّك بمسّه، و يُقَبّله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، يريد بذلك التقرّب إلى اللّه عزّ وجلّ؟ فقال: «لا بأس بذلك». «۱» هذه هى فتوى الإمام- الذى يفتخر بمنهجه أحمد بن تيمية، وبعده محمّد بن عبد الوهاب- و لم ير بأساً بذلك، لما عرفت من أنّ العبادة ليست مجرّد الخضوع، فلا يكون مجرّد التوجّه إلى الأجسام و الجمادات عبادة، بل هى عبارة عن الخضوع نحو الشىء، باعتبار أنّه إله أو ربّ، أو بيده مصير الخاضع فى عاجله و آجله، وأمّا مسّ المنبر أو القبر و تقبيلهما لغاية التكريم و التعظيم لنبىّ التوحيد، فلايوصف بالعبادة و لايتجاوز التبرّك به فى المقام عن تبرّك يعقوب بقميص ابنه يوسف، و لم يخطر بخلد أحد من المسلمين إلى اليوم الذى جاء فيه ابن تيمية بالبدع الجديدة، أنّها عبادة لصاحب القميص و المنبر و القبر أو لنفس تلك الأشياء. الاسماء الثلاث، ص: ۸۰ و لمّا كانت فتوى الإمام ثقيلة على محقّق الكتاب، أو من علق عليه لأنّها تتناقض مع ما عليه الوهابية و تبطل أحلام ابن تيمية، و من لفّ لفّه، حاول ذلك الكاتب أن يوفّق بين جواب الإمام و ما عليه الوهابية فى العصر الحاضر، فقال: «أمّا مسّ منبر النبىّ فقد أثبت الإمام ابن تيمية فى الجواب الباهر (ص ۴۱) فعله عن ابن عمر دون غيره من الصحابة، روى أبوبكر بن أبى شيبة فى المصنف (۴/ ۱۲۱) عن زيد بن الحباب قال: حدّثنى أبو مودود قال: حدّثنى يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال: رأيت نفراً من أصحاب النبىّ إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى زمانة المنبر القرعاء فمسحوها، ودعوا قال: و رأيت يزيد يفعل ذلك. وهذا لما كان منبره الذى لامس جسمه الشريف، أمّا الآن بعد ما تغيّر لايقال بمشروعية مسحه تبركاً به». ويلاحظ على هذا الكلام: بعد وجود التناقض بين ما نقل عن ابن تيمية من تخصيص المسّ بمنبر النبىّ بابن عمر، و ما نقله عن المصنف لابن أبى شيبة من مسح نفر من أصحاب النبىّ زمانة المنبر: أوّلًا: لو كان جواز المسّ مختصّاً بالمنبر الذى لامسه جسم النبى الشريف دون ما لم يلامسه كان على الإمام المفتى أن يذكر القيدَ، ولا يُطلق كلامَه، حتى ولو افترضنا أنّ المنبر الموجود فى المسجد النبوى فى عصره كان نفسَ المنبر الذى لامسَه جسمُ النبىّ الأكرم، و هذا لا يغيب عن ذهن المفتى، إذ لو كان تقبيل أحد المنبرين نفس التوحيد، و تقبيل المنبر الآخر عينَ الشرك، لما جاز للمفتى أن يُغفل التقسيم و التصنيف. وثانياً: أنّ ما يفسده هذا التحليل أكثر ممّا يصلحه، وذلك لأنّ معناه أنّ لجسمه الشريف تأثيراً على المنبر و من تبرّك به، و هذا يناقض التوحيد الربوبى من أنّه لا مؤثّر فى الكون إلّااللّه سبحانه، فكيف يعترف الوهابى بأنّ لجسمه الاسماء الثلاث، ص: ۸۱ الشريف فى الجسم الجامد تأثيراً و أنّه يجوز للمسلمين أن يتبرّكوا به عبر القرون. ثمّ إنّ المعلّق استثنى مسح قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم والتبرك به، ومنعهما و قال فى وجهه: «وأمّا جواز مسّ قبر النبىّ و التبرّك به فهذا

القول غريب جدّاً لم أر أحداً نقله عن الإمام، وقال ابن تيمية فى الجواب الباهر لزوار المقابر (ص ۳۱): اتّفق الأئمّة على أنّه لا يمسّ قبر النبيّ و لا يقبله، وهذا كلّه محافظة على التوحيد، فإنّ من أُصول الشرك باللَّه اتّخاذ القبور مساجد». «۱» لكن يلاحظ عليه: كيف يقول: لم أجد أحداً نقله عن الإمام، أو ليس ولده أبو عبد اللَّه راويةَ أبيه و وعاء علمه و هو يروى هذه الفتوى و ثقة عند الحنابلة. وأمّا التفريق بين مسّ المنبر والقبر بجعل الأوّل نفس التوحيد، و الثانى أساس الشرك، فمن غرائب الأُمور، لأنّ الأمرين يشتركان فى التوجّه إلى غير اللَّه سبحانه، فلو كان هذا محور الشرك، فالموضوعان سيّان، و إن فرّق بينهما بأنّ الماسّ، ينتفع بالأوّل دون الثانى لعدم مسّ جسده بالثانى فلازمه كون الأوّل نافعاً والثانى أمراً باطلًا دون أن يكون شركاً على أنّ تجويز الأوّل يرجع إلى القول بأنّ لبدنه تأثيراً فيما يقصد لأجله التبرّك و هو عين الشرك عند القوم فما هذا التناقض فى المنهج يا ترى. و لو رجع المحقّق إلى الصحاح و المسانيد وكتب السيرة والتاريخ، لوقف على أنّ التبرّك بالقبر و مسّه، كان أمراً رائجاً بين المسلمين فى عصر الصحابة و التابعين، و لأجل إيقاف القارئ على صحّة ما نقول نذكر نموذجين من ذلك: ۱- إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام- سيدة نساء العالمين بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم- حضرت عند قبر أبيها و أخذت قبضة من تراب القبر تشمّه و تبكى و تقول: ما ذا على من شمّ تربة أحمد ألّايشمّ مدى الزمان غولياً الاسماء الثلاث، ص: ۸۲ صُبَّتْ علىَّ مصائب لو أنّها صُبَّتْ على الأيّام صِرنَ لياليا «۱» إنّ هذا التصرّف من السيدة الزهراء المعصومة عليها السلام يدل على جواز التبرّك بقبر رسول اللَّه و تربته الطاهرة. ۲- إنّ بلالًا- مؤذّن رسول اللَّه- أقام فى الشام فى عهد عمر بن الخطاب فرأى فى منامه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هو يقول: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آنَ لك أن تزورنى يا بلال؟». فانتبه حزيناًوَجِلًا خائفاً، فركب راحلته و قصد المدينة فأتى قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فجعل يبكى عنده و يمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن و الحسين عليهما السَّلام فجعل يضمّهما و يقبّلهما ... إلى آخر الخبر. «۲» والحقّ انّ الإختلاف بين السلف الصالح، و الخلف!! غير مختص بهذا المورد بل هناك موارد كان السلف يراها نفس التوحيد، و يراها الوهابيون عين الشرك و إن كنت فى شكّ فلاحظ ما يلى: ۱- قال ابن حبّان: «فى شأن الإمام علىّ بن موسى الرضا عليهما السَّلام: «قد زرته مراراً، و ماحلّت بى شدّة فى وقت مقامى بطوس فزرت قبر على بن موسى الرضا صلوات اللَّه على جدّه و عليه، و دعوت اللَّه ازالتها عنى إلّا استجيب و زالت عنى تلك الشدة، و هذا شىء جرّبته مراراً فوجدته كذلك. «۳» ۲- نقل ابن حجر العسقلانى عن الحاكم النيسابورى أنّه قال: «سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبى بكر بن خزيمة، وعديله أبى على الثقفى مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك الاسماء الثلاث، ص: ۸۳ متوافرون إلى زيارة قبر على بن موسى الرضا عليهما السَّلام بطوس قال: فرأيت من تعظيمه يعنى ابن خزيمة لتلك البقعة تواضعه لها و تضرعه عندها ما تحيرنا». «۱» ۳- وقال أحمد بن يحيى ألونشريسى المتوفى بفاس عام ۹۱۴ فى كتابه القيم: «المعيار المعرب» سئل سيدى قاسم العقبانى عمّن جرت عادته بزيارة قبر الصالحين فيدعو هناك و يتوسل بالنبيّ عليه السلام وبغيره من الأنبياء صلوات اللَّه على جميعهم، و يتوسل بالأولياء والصالحين و يتوسل بفضل ذلك الولى الّذى يكون عند قبره على التعيين، فهل يسوغ له هذا و يتوسل إلى اللَّه فى حوائجه بالولى على التعيين؟ وهل يجوز التوسل بعمّ نبيّنا أم لا؟ فأجاب يجوز التوسل إلى مولانا العظيم الكريم بأحبائه من النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين. وقد توسل عمر بالعباس رضى اللَّه عنهما، و كان ذلك بمشهد عظيم من الصحابة والتابعين، و قَبِلَ مولانا وسيلتهم و قضى حاجتهم و سقاهم. ومازال هذا يتكرر فى الّذين يُقتدى بهم فلا ينكرونه، وما زالت تظهر العجائب فى هذه التوسلات بهؤلاء السادات نفعنا اللَّه بهم و أفاض علينا من بركاتهم. و ورد فى بعض الأخبار انّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم علّم بعض الناس الدعاء فقال فى أوّله قل: اللّهمّ انّى أُقسم عليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة. فقال الإمام الأوحد عزّ الدين بن عبد السّلام: هذا الخبر إن صحّ يحتمل أن يكون مقصوراً على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم لانّه سيّد ولد آدم، ولا يُقسم على اللَّه تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء، لانّهم ليسوا فى درجته، وأن يكون هذا إنّما خصّ به نبيّنا على علوّ درجته و مرتبته انتهى. «۲» ترى انّ السلف الصالح يتلقى هذه الأُمور، بفطرتهم السليمة أُموراً مشروعة، غيرمخالفة للتوحيد، بينما الوهابيين يدّعون انّ هذه الأُمور، تنافى التوحيد و تقارن الاسماء الثلاث، ص: ۸۴

الشرك، من دون أن يقيموا دليلًا على مخالفتها للتوحيد، إلّا الاعتماد على أقوال ابن تيمية و آرائه مكان الاعتماد على الكتاب والسنّة و سيرة السلف الصالح، فهم مقلده أقوال الرجال، و قدسيطرت على عقولهم، مكان استنطاق الذكر الحكيم والسنة النبوية.

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم أنّ موقف الكاتب أبى الأعلى المودودى من الوهابية موقف الدعم والتأييد و قد صب نزعاته فى كتابه «المصطلحات الأربعة» فقد ألف ذلك الكتاب لغاية دعم المبادئ الوهابية تحت غطاء تفسير المصطلحات الأربعة و مع ذلك كلّه فقد صدرت منه عن «لاوعى» كلمة حق لو كان سائراً على ضوئها لاصاب الحقيقة قال: «و صفوة القول أنّ التصور الذى لأجله يدعو الإنسان الإله و يستغيثه و يتضرع إليه هو لا جرم تصور كونه مالكاً للسلطة المهيمنة على قوانين الطبيعية و للقوى الخارجة عن دائرة نفوذ قوانين الطبيعة». هذا كلامه و هو تعبير عن عقائد الوثنيين الذين لايصدرون فى توسلاتهم و استغاثاتهم إلّا عن هذا المبدء و أين ذلك من توسل المسلمين الذى يتوسلون بالنبى و آله، لأجل أنّهم عباد صالحون «لا يعصون اللّه فى ما أمرهم و هم بأمره يعملون» فالحافز على التوسل والاستغاثة ليس إلّاذلك لا انّهم أصحاب السلطة على قوانين الطبيعة مع الاعتراف بانّهم عباد لا يملكون لأنفسهم موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

تصور خاطئ

اشارة

تصور خاطئ: انّ الكاتب مع أنّه نطق بالحقّ و الحقّ ينطق به المنصف والعنود، أراد اضفاء الشرك على التوسلات الدارجة بين المسلمين فذكر انّ السبب لها ليس إلّااعتقاد المتوسل أنّ للنبى مثلًا نوعاً من أنواع السلطة على نظام هذا العالم الاسماء الثلاث، ص: ۸۵ وكذلك من يخاف أحداً يرى انّ سخطه يجرّ عليه الضرر و مرضاته تجلب له المنفعة فلا يكون مصدر اعتقاده ذلك و عمله إلّاما يكون فى ذهنه من تصوّر أنّ له نوعاً من السلطة على هذا الكون فلا يبعثه عليه إلّااعتقاده فيه انّ له شركاً فى ناحية من نواحى السلطة الأُلوهية. «۱» أنّ ما ذكره من مبدأ التوسل و انّه الاعتقاد بأنّ للمتوسل به نوعاً من السلطة على هذا الكون، إنّما ينطبق على توسل المشركين بأصنامهم و أوثانهم فقد كانو معتقدين بمالكيتها لبعض الشؤون الإلهية و لا أقلّ سلطنتها على الغفران والشفاعة النافذة و أين ذلك من توسل المسلمين بأحباء اللّه بما انّهم عباده الصالحون لو دَعوا لاجيبوا بتفضل منه سبحانه لا الزاماً و ايجابا- والدليل على ذلك انّه سبحانه دعى فى غير واحدة من الآيات إلى التوسل بالنّبى فقال سبحانه: «وَ لَو انّهم إذْ ظَلَموا أنفُسَهم جاؤُكَ فَاسْتغفَروا اللّهَ وَ اسْتَغفَرَ لَهُمُ الرّسُول لَوَجَدوا اللّهَ تَواباً رَحِيماً» (النساء/ ۶۴) حتى انّه سبحانه ذمّ المنافقين لأجل اعراضهم عن النبى و عدم طلبهم استغفاره قال سبحانه: «وإذا قِيل لَهُمْ تَعالَوا يَسْتَغفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّه لَووا رُؤسهم وَ رأيتَهُمْ يَسُدّونَ و هُم مُسْتكبِرون» (المنافقون/ ۵). و من يتوسل من المسلمين بعد رحيل نبيهم الأكرم فإنّما يتوسل بنفس ذلك الملاك الموجود فى زمن حياته لا بملاك انّه مسيطر على العالم، و اختصاص الآية- على زعمهم- بحياة النبىّ لا يضر بالاستدلال، لانّ الهدف هو انّ الداعى للتوسل فى كلتا الفترتين أمر و احد سواء اختصت الآية بفترة الحياة أم لا. انّ الكاتب المودودى أخذ البرىء بجرم المعتدى فنسب عقيدة الوثنيين إلى المسلمين و جعل الدعوتين من باب واحد و صادرتين من منشأ فارد و ليس هذا إلّا قضاءً بالباطل و لا تزر وازرة وزر أُخرى. الاسماء الثلاث، ص: ۸۶

حصيلة البحث

حصيلة البحث: إنّ الآيات الواردة حول الاستعانة على صنفين: الاسماء الثلاث، ص: ۸۹ الصنف الأوّل: يحصر الاستعانة فى اللّه فقط و

يعتبره الناصر والمعين الوحيد دون سواه. والصنف الثانى: يدعونا إلى سلسلة من الأمور المعيّنة (غير اللّه) و يعتبرها ناصرة و معينة، إلى جانب اللّه. أقول: اتّضح من البيان السابق وجه الجمع بين هذين النوعين من الآيات، و تبيّن أنّه لا تعارض بين الصنفين مطلقاً، إلّا أنّ فريقاًنجدهم يتمسّكون بالصنف الأوّل من الآيات فيخطِّئون أىّ نوع من الاستعانة بغير اللّه، ثم يضطرّون إلى إخراج (الاستعانة بالقدرة الإنسانية و الأسباب المادية) من عموم تلك الآيات الحاصرة للاستعانة باللّه بنحو التخصيص، بمعنى أنّهم يقولون: إنّ الاستعانة لا تجوز إلّاباللّه فى الموارد التى أذن اللّه بها، وأجاز أن يستعان فيها بغيره، فتكون الاستعانة بالقدرة الإنسانية والعوامل الطبيعية- مع أنّها استعانة بغير اللّه- جائزة و مشروعة على وجه التخصيص. و لكن هذا ممّا لايرتضيه الموحّد. فى حين أنّ هدف الآيات هو غير هذا تماماً، فإنّ مجموع الآيات يدعو إلى أمر واحد و هو: عدم جواز الاستعانة بغير اللّه مطلقاً، وأنّ الاستعانة بالعوامل الأُخرى يجب أن تكون بنحو لا يتنافى مع حصر الاستعانة فى اللّه بل تكون بحيث تعدّ استعانة باللّه لا استعانة بغيره. وبتعبير آخر: إنّ الآيات تريد أن تقول بأنّ المعين و الناصر الوحيد والذى يستمدّ منه كلّ معين و ناصر، قدرته و تأثيره، ليس إلّااللّه سبحانه، و لكنّه- مع ذلك- أقام هذا الكون على سلسلة من الأسباب و العلل التى تعمل بقدرته و أمر باستمداد الفرع من الأصل، و لذلك تكون الاستعانة به كالاستعانة باللّه، ذلك لأنّ الاستعانة بالفرع استعانة بالأصل. و إليك فيما يلى إشارة إلى بعض الآيات من الصنفين: الاسماء الثلاث، ص: ۹۰ «وَ مَا النَّصْرُ إِلّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» (آل عمران/ ۱۲۶). «إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ» (الحمد/ ۵). «وَ مَا النَّصْرُ إِلّامِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (الأنفال/ ۱۰). هذه الآيات نماذج من الصنف الأوّل و إليك فيما يأتى نماذج من النصف الآخر الذى يدعونا إلى الاستعانة بغير اللّه من العوامل والأسباب. «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ» (البقرة/ ۴۵). «وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى» (المائدة/ ۲). «ما مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ» (الكهف/ ۹۵). «وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ» (الأنفال/ ۷۲). و مفتاح حلّ التعارض بين هذين الصنفين من الآيات هو ما ذكرناه وملخّصه: إنّ فى الكون مؤثراً تاماً، و مستقلًا واحداً، غير معتمد على غيره لا فى وجوده و لا- فى فعله و هو اللّه سبحانه: وأمّا العوامل الأُخر فجميعها مفتقرة- فى وجودها وفعلها- إليه و هى تؤدى ما تؤدى بإذنه و مشيئته و قدرته، ولو لم يعط سبحانه تلك العوامل ما أعطاها من القدرة و لم تجر مشيئته على الاستعانة بها لما، كانت لها أيّة قدرة على شىء. فالمعين الحقيقى فى كلّ المراحل- على هذا النحو تماماً- هو اللّه فلا يمكن الاستعانة بأحد باعتباره معيناًمستقلًا. و لهذه الجهة حصر هنا الاستعانة فى اللّه وحده، و لكن هذا لا يمنع بتاتاً من الاستعانة بغير اللّه باعتباره غير مستقلّ (أى باعتباره معيناً بالاعتماد على القدرة الإلهية) و معلوم أنّ استعانة- كهذه- لا تنافى حصر الاستعانة فى اللّه سبحانه لسببين: الاسماء الثلاث، ص: ۹۱ أوّلًا: لأنّ الاستعانة المخصوصة باللّه هى غير الاستعانة بالعوامل الأُخرى، فالاستعانة المخصوصة باللّه هى: (ما تكون باعتقاد أنّه قادر على إعانتنا بالذات، و بدون الاعتماد على غيره، فى حين أنّ الاستعانة بغير اللّه سبحانه على نحو آخر، أى مع الاعتقاد بأنّ المستعان قادر على الإعانة مستنداً على القدرة الإلهية، لا بالذات، و بنحو الاستقلال، فإذا كانت الاستعانة- على النحو الأوّل- خاصّة باللّه تعالى فإنّ ذلك لا يدل على أنّ الاستعانة بصورتها الثانية مخصوصة به أيضاً. ثانياً: إنّ استعانة- كهذه- غير منفكّة عن الاستعانة باللّه بل هى عين الاستعانة به تعالى، و ليس فى نظر الموحّد (الذى يرى أنّ الكون كلّه مستند إليه و الكلّ قائم به) مناص من هذا. وأخيراً نذكّر القارئ الكريم بأنّ مؤلّف المنار حيث إنّه لم يتصوّر للاستعانة بالأرواح إلّاصورة واحدة لذلك اعتبرها ملازمة للشرك فقال: «ومن هنا تعلمون: إنّ الذين يستعينون بأصحاب الأضرحة و القبور على قضاء حوائجهم و تيسير أُمورهم و شفاء أمراضهم ونماء حرثهم و زرعهم، وهلاك أعدائهم وغير ذلك من المصالح هم عن صراط التوحيد ناكبون، و عن ذكر اللّه معرضون». «۱» يلاحظ عليه: بأنّ الاستعانة بغير اللّه (كالاستعانة بالعوامل الطبيعية) على صورتين: إحداهما عين التوحيد، و الأُخرى موجبة للشرك، إحداهما مذكّرة باللّه، و الأُخرى مبعدة عن اللّه. إنّ حدّ التوحيد والشرك ليس هو كون الأسباب ظاهرية أو غير ظاهرية و إنّما هو استقلال المعين وعدم استقلاله، و بعبارة أُخرى المقياس، هو الغنى الاسماء الثلاث، ص: ۹۲ والفقر، و الأصالة وعدم الأصالة. إنّ الاستعانة بالعوامل غير المستقلّة المستندة إلى اللّه، التى لا تعمل و لاتؤثر إلّابإذنه تعالى غير موجبة للغفلة عن اللّه، بل هى خير موجّه إلى اللّه، ومذكّربه،

إذ معناها: انقطاع كلّ الأسباب وانتهاء كلّ العلل إليه. و مع هذا كيف يقول صاحب المنار: «أولئك عن ذكر اللّه معرضون» و لو كان هذا النوع من الاستعانة موجباً لنسيان اللّه والغفلة عنه للزم أن تكون الاستعانة بالأسباب المادية الطبيعية هى أيضاً موجبة للغفلة عنه. على أنّ الأعجب من ذلك رأى شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت الذى نقل- فى هذا المجال- نصّ كلمات عبده دون زيادة و نقصان، و ختم المسألة بذلك، وأخذ بالحصر فى «إِيّاكَ نَسْتَعين» غافلًا عن حقيقة الآية و عن الآيات الأُخرى المتعرّضة لمسألة الاستعانة. «۱»

إجابة على سؤال

إجابة على سؤال إذا كانت الاستعانة بالغير على النحو الذى بيّناه جائزة فهى تستلزم نداء أولياء اللّه و الاستغاثة بهم فى الشدائد و المكاره، وهى غير جائزة و ذلك لأنّ نداء غير اللّه فى المصائب و الحوائج تشريك الغير مع اللّه، يقول سبحانه: «وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً» (الجن/ ۱۸) و يقول تعالى: «وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَ لا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ» (الأعراف/ ۱۹۷) و يقول عزّمن قائل: «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ» (فاطر/ ۱۳). إلى غير ذلك من الآيات التى تخص الدعاء باللّه و لاتسيغ دعوة غيره. الاسماء الثلاث، ص: ۹۳ و قد طرح هذا السؤال الشيخ الصنعانى حيث قال: وقد سمّى اللّه الدعاء عبادة بقوله: «أُدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُم إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتى» (غافر/ ۶۰) فمن هتف باسم نبيّ أو صالح بشىء فقد دعا النبى و الصالح، و الدعاء عبادة بل مخّها فقد عبد غير اللّه و صار مشركاً. «۱»

الجواب

الجواب: إنّ النقطة الحاسمة فى الموضوع تكمن فى تفسير الدعاء وهل أنّ كلّ دعاء عبادة و النسبة بينهما هى التساوى؟ حتى يصح لنا أن نقول كلّ دعاء عبادة، وكلّ عبادة دعاء، أو أنّ الدعاء أعمّ من العبادة و أنّ قسماً من الدعاء عبادة و قسماًمنه ليس كذلك؟ و الكتاب العزيز يوافق الثانى لا الأوّل، وإليك التوضيح: لقد استعمل القرآن لفظ الدعاء فى مواضع عديدة ولا يصحّ وضع لفظ العبادة مكانه، يقول سبحانه حاكياً عن نوح: «رَبِّ إِنِّى دَعَوتُ قَوْمِى لَيْلًا وَ نَهاراً» (نوح/ ۵) وقال سبحانه حاكياً عن لسان إبليس فى خطابه للمذنبين يوم القيامة: «وَ ما كانَ لِى عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلّاأَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى» (إبراهيم/ ۲۲) إلى غيرهما من الآيات التى ورد فيها لفظ الدعاء، أفيصح القول بأنّ نوحاً دعا قومه أى عبدهم، أو أنّ الشيطان دعا المذنبين أى عبدهم؟ كلّ ذلك يحفزنا إلى أن نقف فى تفسير الدعاء وقفة تمعّن حتى نميّز الدعاء الذى هو عبادة عمّا ليس كذلك. والإمعان فيما تقدّم فى تفسير العبادة يميّز بين القسمين فلو كان الداعى و المستعين بالغير معتقداً بأُلوهية المستعان ولو أُلوهية صغيرة كان دعاؤه عبادة و لأجل ذلك كان دعاء عبدة الأصنام عبادة لاعتقادهم بأُلوهيتها، قال سبحانه: «فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الّتى يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَىْءٍ» الاسماء الثلاث، ص: ۹۴ (هود/ ۱۰۱). و ما ورد من الآيات فى السؤال كلّها من هذا القبيل فانّها وردت فى حقّ المشركين القائلين بأُلوهية أصنامهم و أوثانهم باعتقاد استقلالهم فى التصرف والشفاعة و تفويض الأُمور إليهم و لو فى بعض الشؤون. ففى هذا المجال يعود كلّ دعاء عبادة، و يفسر الدعاء فى الآيات الماضية والتالية بالعبادة، قال تعالى: «إِنَّ الّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ» (الأعراف/ ۱۹۴). «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْويلًا* أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ» (الإسراء/ ۵۶- ۵۷). «وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لايَنْفَعُكَ وَ لا يَضُرُّكَ» (يونس/ ۱۰۶). «إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ» (فاطر/ ۱۴). و ما ورد فى الأثر من أنّ الدعاء مُخّ العبادة، أُريد منه دعاء اللّه أو دعاء الآلهة لا مطلق الدعاء و إن كان المدعوّ غير إله لا حقيقة أو اعتقاداً. وفى روايات أئمّة أهل البيت إلماع إلى ذلك، يقول الإمام زين العابدين فى ضمن دعائه: «... فسمّيت دعاءك عبادة و تركه استكباراً و توعّدت على تركه دخول جهنّم داخرين» «۱» و هو يشير فى كلامه هذا إلى قوله سبحانه: «وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

عِبادَتی سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرینَ» (غافر ۶۰) هذا هو الدعاء المساوی للعبادة و هناک قسم آخر منه لا صلة بینه و بین العبادة و هو فیما إذا دعا شخصاًبما أنّه إنسان وعبد من عباد اللّه غیر أنّه قادر علی إنجاز طلبه بإقدار منه تعالی و إذن منه، فلیس مثل هذه الدعوة عبادة بل سنّة من السنن الإلهیة فی الکون، هذا هو ذو القرنین یواجه قوماً مضطهدین یطلبون منه أن الاسماء الثلاث، ص: ۹۵ یجعل بینهم و بین یأجوج و مأجوج سداً فعند ذلک یخاطبهم ذو القرنین بقوله: «ما مَکَّنِّی فِیهِ رَبِّی خَیْرٌ فَأَعینُونی بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ رَدْماً» (الکهف/ ۹۵) وها هو الذی کان من شیعة موسی یستغیث به، یقول سبحانه: «فَاسْتَغاثَهُ الَّذی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَی الَّذی مِنْ عَدُوِّهِ فَوَکَزَهُ مُوسی فَقَضی عَلَیْهِ» (القصص/ ۱۵) و هذا هو النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم یدعو قومه للذبّ عن الإسلام فی غزوة أُحد و قد تولّوا عنه، قال سبحانه: «إِذْتُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلی أَحَدٍ وَالرَّسُولُ یَدْعُوکُمْ فِی أُخراکُمْ» (آل عمران/ ۱۵۳) فهذا النوع من الدعاء قامت علیه الحیاة البشریة، فلیس هو عبادة و إنّما هو توسل بالأسباب، فإن کان السبب قادراً علی إنجاز المطلوب کان الدعاء أمراً عقلائیاًو إلّا یکون لغواً وعبثاً. ثمّ إنّ القائلین بأنّ دعاء الصالحین عبادة، عند مواجهتهم لهذا القسم من الآیات و ما تقتضیه الحیاة الاجتماعیة، یتشبثون بکلّ طحلب حتی ینجیهم من الغرق و یقولون إنّ هذه الآیات تعود إلی الأحیاء و لا صلة لها بدعاء الأموات، فکون القسم الأوّل جائزاً و أنّه غیر عبادة؛ لا یلازم جواز القسم الثانی و کونه غیر عبادة. ولکن عزب عن هؤلاء إنّ الحیاة و الموت لیسا حدین للتوحید و الشرک و لا ملاکین لهما، بل هما حدّان لکون الدعاء مفیداًأو لا، و بتعبیر آخر ملاکان للجدوائیة و عدمها. فلو کان الصالح المدعو غیر قادر لأجل موته مثلًا تکون الدعوة أمراً غیر مفید لا عبادة له، و من الغریب أن یکون طلب شیء من الحیّ نفس التوحید و من المیت نفس الشرک. کلّ ذلک یوقفنا علی أنّ القوم لم یدرسوا ملاکات التوحید و الشرک بل لم یدرسوا الآیات الواردة فی النهی عن دعاء غیره، فأخذوا بحرفیة الآیات من دون تدبّر مع أنّه سبحانه یقول: «کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ مُبارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیاتِهِ وَلِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الاسماء الثلاث، ص: ۹۶ الْأَلْباب» (ص ۲۹). ثمّ إنّ الکلام فی أنّ دعاء الصالحین بعد انتقالهم إلی رحمة اللّه مفید أو لا، یتطلب مجالًا آخراً و سوف نستوفی الکلام عنه فی رسالة خاصة حول وجود الصلة بین الحیاتین: المادّیة و البرزخیّة بإذن منه سبحانه. جعفر السبحانی تحریراً فی ۲۷ صفر المظفر ۱۴۱۶ ه

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله" الشمس آبادی – "رَحِمَهُ اللّهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم. مرکز" القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ– بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة –فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت– علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة

هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم - مِن جِهةٍ أُخرَى. - من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹